

5 me Année, No. 228

Lundi - 15 - 11 - 1937

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

العـــدد ٢٢٨ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٢ رمضان سنة ١٣٥٦ — ١٥ نوفبر سنة ١٩٣٧ » السنة الخامسة

الفهـــرس

الصيام بين عهدين

والتجدد أو التطور يصيب كل شئ فيجعله أعلى عالٍ أو يردُّه أسفلَ سافل !

كان عهدنا بالصوم قبل اليوم أن يكون عصياناً للنفس فى طاعة الله ، وحرماناً للجسم فى مَبَرَّة الروح ، ونكراناً للذات فى معرفة الناس ؛ فالجوارح مغلولة عن الأذى ، والمشاعر مكفوفة عن الشهوة ، والخواطر مستغرقة فى الدعاء ، بين نهار كله إحسان وتأمل وتصدُّق ، وليلٍ كله قرآن وتواصل وتهجُّد ؛ فلا الغنىُّ يهيج به البطر ، ولا القوي تفرط عليه القدرة ، ولا الفقير يتجهم له الحرمان ، وكأنما زالت الفروق بين الناس فأصبحوا سواسية فى نعمة الدين وسعادة الدنيا !

كان الرجل الدنيوى الشهوان إذا أقبل عليه رمضان تاب وتطهر ، فلا يفتح فمه لهُجر ، ولا عينَه لفحش ، ولا أذنَه للغو ، ولا قلبَه لخطيئة . يقضى يومه مضطرباً فى المعاش على أفضل ما يكون الخلق ؛ فإذا كان تاجراً لا يدلِّس ، أو صانعاً لا يزوّر ، أو عاملاً لا يُفرِّط ، أو معاملاً لا يخون . ويحيي ليله فى استماع القرآن ومواصلة الإخوان ومُوادَّة ذوى القربى ؛ فإذا ما انقضى بعض الشهر بدا عليه شحوب الصوم وذبول الصلاة وكلال السهر وخشوع الورع . فلو كنت حاضر ذلك العهد لرأيت رمضان

عيداً قومياً ودينياً يؤكد أسباب القرب بين الله وعباده ، ويوثق عرى الحب بين الشعب وأفراده

* * *

ذلك عهدنا برمضان الأمس ؛ أما رمضان اليوم فبحسبك أن أصف لك حياة من حيوات القاهرة فيه ؛ وتستطيع أنت أن تصور لنفسك الطور العجيب الذى آل إليه شهر القرآن والعبادة

هى أسرة لا أقول إنها مثال لكل الأسر ؛ ولكنها استجابت لنوازع التجديد الأبله استجابة الإمّعة فأصبحت تمثل ماعسى أن يكون بين التقاليد والتقليد من التناقض المضحك

مِيم باشا يتبوأ منصباً من مناصب الدولة الرفيعة . بلغه بعد حياة طويلة كادحة ، تبتدىء من القرية الحقيرة والأسرة الفقيرة والوظيفة الخاملة ، وتنتهى إلى هذا الجاه العريض والثراء الضخم والمنزل المرموق ؛ فهو وزوجه من عهد ، وابناه وبناته الثلاث من عهد ؛ والتفاعل بين هذين العهدين هو الذى أحدث هذه الظاهرة التى تجدها اليوم فى أكثر بيوت القاهرة . لابد لهذه الأسرة أن تصوم ؛ ذلك حكم النشأة وسلطان العادة . ولا بد كذلك لهذا الصوم المتزمت الجافى أن يتسع باله وترق حواشيه إذا ما استضاف هذه الأسرة . فهو يُسبل جناحيه الرءومين على أسِرّتها الوردية الوثيرة من طلوع الفجر إلى متوع النهار ؛ ثم يمس بريشهما الناعم خدود الأوانس النواعس فينتبهن ؛ ويهبُّ الوالدان على زقزقتهن فى غرف الزينة وطُنُف القصر ؛ ثم يجتمع بعد قليل مجلس الأسرة لينظر فى مقترحات البطون على إدارة المطبخ . فهذه تقترح ، وتلك تعترض ، وهذا يطلب لوناً ، وذاك يطلب آخر ، والباشا يدير هذا الجدل الشهى إدارة موفقة ، فيعدِّل أو يكمل أو يؤجل ، حتى ينتهى النقاش بثَبَت حافل بالمشهيات والمقليات والمشويات والمحشوات والفطائر لا تجد بعضه فى مطعم كبير

يتغير هذا الثبَت كل يوم فيطول أو يقصر ، ولكن لونين فيه لاينالها تغير ولا يمسهما نقص : لوناً من الأرانب مطبوخة فى النبيذ يحبه الباشا ، ولوناً من الشرائح الوردية مطعمة بفصوص من شحم الخنزير تحبه الآنسة الكبرى سين !

هاهو ذا الباشا البطين يتذبذب وئيداً بين المطبخ والمائدة كأنه رقاص الساعة ؛ فى يده مسبحته الكهرمان الصغيرة يهش بها على الطهاة والخدم ، وشفتاه تختلجان من غير كلام ، وعيناه تتحركان من غير نظر ، حتى إذا دنت المغرب خفت حركته واحتد نشاطه فأقبل على المائدة ينسق الآنية ، وينضد الأكواب ، ويسكب أمام كل آكل الشراب الذي تعوده ؛ فهنا قمر الدين ، وهنا منقوع التين ، وهنا الكينا ، وهناك الفرمود ، وهنالك إڤيان ، وأمامه هو شراب صحى فاخر من صيدلية (ينى) ؛ ثم يدبج الخوان المخملى بنوافل المائدة من السلطات والكوامخ ، ويرتب الألوان مع النادل على أصول مقررة فى الفن ؛ ثم يسرح بعد ذلك بصره فى السماط المكتظ فيرتد إليه ملآن بالرضا والعُجب ؛ فيخرج إلى الردهة ، ومن الردهة إلى الشرفة ، فيلقى النظرة الأخيرة على الشمس الغاربة ، ثم يعود فيرى الأسرة بجنسيها لم تفرغ بعد من إعداد الأُهَب للسهرة الراقصة ؛ فالحلل تنتقى ، والحلى تُختار ، والشعور ترجل وتموج ، والأظفار تدرَّم وتصبغ ، والحواجب تدقق وتخطط ، والخطوات واللفتات والبسمات تتكرر أمام المرايا لتراض وتُتقن . حتى إذا انطلق مدفع الإفطار من الراديو أهرعوا إلى المائدة إهراع جنود الإطفاء إلى السيارة ؛ ثم يجلس الباشا بين بنيه ويضع المسبحة الملوية مكان القدح المجهول ، ثم يرفعه إلى فيه وهو يقول : « اللهم لك صمت ، وعلى رزقك أفطرت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت . » ثم يقبلون على هذه الآكال وهذه الأشربة إقبال الشره الفاره ! فلو رأيتهم حسبتهم صاموا العام كله ليفطروا فى رمضان !

أذنت العشاء فصلاها الباشا الصالح ، ولم يكد ينفلت منها حتى أخذ يُعد مقصف الليلة من النقول المختلفة ، والأشربة الهاضمة ، والأزهار الجنية . وأخذت الأسرة زينتها التمامة الكاشفة واجتمعت فى البهو الفسيح الفخم تستقبل أسراب السيدات والأوانس ومعهن أبناؤهن وإخوتهن من الأيفاع والشباب ؛ فيعزف البيان ، ويخفق العود ، وتشدو الكواعب ، ويهزج الحاكي ، ويدور الرقص على نمطيه الشرقى والغربى ، فتلتف الأيدى على الخصور ، وتلتصق الصدور بالصدور ، وتمتزج أنفاس الكحول بأنفاس العطور ، ويقف رمضان المسكين من هذه المناظر المريبة وقفة شيخ من شيوخ الدين دفعت به الأقدار إلى ماخور !

هذه والله صورة ناطقة لأسرة أعرفها ويعرف أمثالها الناس . فمن عرفها فسيقول قصَّر ، ومن جهلها فسيقول بالَغ ؛ والحق أنها الواقع لا تنقصه إلا تسمية الأسماء وتعيين المنزل .

أحمد حسن الزيات

الحد الحاسم

للأستاذ عباس محمود العقاد

من العقول عقل كالرسول الذى تثق بقدميه ولا تثق برأسه : ترسله وتفصل له مايعمل فى كل حالة ، فإذا طرأ طارئ لم تسلف له فيه وصية فلا عمل ولا تصريف حتى يرجع إليك . فالشئ عنده إما معمول بأمر أو متروك بأمر ، وإما حسن كما تراه أو قبيح كما تراه ، ولا توسط ولا تدرج بين الأمور

ومن العقول عقل كالرسول المفوض : تنبئه بمرادك ثم تكل إليه تحصيله كما يريد ، فلا تبيح ولا تمنع ، ولا تقسم الأمور كما تراها ، بل تدع له أن يقسم مايشاء حين يشاء

العقل الأول لا غنى له عن الحدود الحاسمة فى الكلام ؛ فالشئ عنده إما أبيض أو أسود ، وإما حلو أو مر ، وإما مأخوذ أو متروك ؛ ولا يجوز أن يكون مأخوذاً فى حال ومتروكا فى حال ، ولا أن يكون حلواً ومراً فى وقت واحد ، ولا أن يكون بين البياض والسواد تارة يبيض وتارة يسود على حسب الضياء والظلام ، وعلى حسب الموقع الذى تنظر منه إليه

والعقل الثانى لا يتقيد بالحدود الحاسمة ولا يحتاج إليها ، لأنه يرى الدرجات بين المسافات ، ويرى الظلال بين الألوان ، ويرى التشكيلات بين الأشكال

فالشئ عنده لا يكون بعيداً وحسب ، ولا قريباً وحسب ، وإنما يكون بعيداً بمقدار كذا وقريباً على درجة من القرب مقسومة بين الدرجات ؛ وقس على ذلك سائر مايدركه ويحده ويعيه

ولغات الأمم تبين لنا مقدار نصيبها من العقل المسخر ومن العقل المفوض

فاللغة التى تقل فيها « الظروف » هى اللغة التى قلما يستغنى أصحابها عن الحدود الحاسمة والأوامر المفروضة ، لأنهم يجهلون الفروق ولا يدركون وجوه الاختلاف ، إلا إذا بلغت من الظهور والاتضاح مبلغ النقيض من النقيض ، أو مبلغ الشئ المميز بعلامة لا تشتبه بغيرها من العلامات

واللغة التى تكثر فيها الظروف هى لغة العقول المفوضة أو العقول المتصرفة ، لأنها تلمح الفرق الصغير فلا تقف عند الحد الحاسم الكبير ، وترى العمل الواحد على أشكال متعددات ، فلا تحصره فى شكل واحد محدود محتوم

و « الظرف » فى اللغة هو الكفيل باظهار هذه الفروق الصغيرة ، وتقسيم الدرجات بين المسافات الواسعة . فإذا رأينا « الظروف » فى لغة من اللغات فنحن إذن أمام ناس متصرفين غير محدودين ، أو أمام عقول تستنبط الفهم من بواطنها ولا تنتظر حتى يقال لها : افهمى هذا هكذا ، وافهمى ذاك على ذاك المثال

وأحسب أن « الظروف » تقل ، وأن العقول تعجز عن التصرف لسبب من سببين :

أحدهما طول عهد الاستبداد ، فيتعود العقل إملاء الأوامر عليه وإسناد الفرائض إليه ، فيصدع بما يؤمر ويطيع ثم لا يتصرف ، وينتظر الارشاد والتسديد فى كل خطوة وعند كل طارئ جديد

والثانى نشأة الأمة فى بيئة محدودة لم تتشعب فيها مسالك العمران ومذاهب التفكير ، فكل ما فيها فروق كبيرة بارزة ، ومسافات بعيدة شاسعة ، فلا محل فيها للفرق الدقيق ولا للدرجة الصغيرة ولا للمسحة المترددة بين الألوان

وأنت تستطيع أن تفتح « معجم » اللغة من اللغات فتعرف نصيبها من الحرية أو من سعة العمران بتلك العلامة التى لا تخطئ ، وهى علامة « الظروف » المصوغة أو التى تسهل صياغتها من الأسماء والأفعال

يضحك الانسان ضحكة السرور ، وضحكة الألم ، وضحكة التشفى ، وضحكة التهكم ، وضحكة الرصانة ، وضحكة الطيش ، وضحكة المعرفة والحكمة ، وضحكة الجهل والبلاهة ، وضحكة القوة والعزة ، وضحكة المجون والاسترخاء ؛ وكله ضحك إذا نظرت إلى اسمه فى اللغة ... فماذا يفيد هذا الاسم إن لم يميزه مميز من الظروف ؟

وتقول مثلاً فى عنوان مقال أو قصيدة : « شجاعة الجبن » فيفهم العقل المتصرف أو عقل « الظروف » معنى ما تقول

أما العقل المغلق أو عقل الحدود الحاسمة فيعجب حتى يغرب فى الضحك ويسخر ممن يلقى إليه بذلك العنوان ، لأن المسألة

عنده إما شجاعة وإما جبن ولا يلتقيان . وليس فى علمه أن الجبن قد يؤدى إلى الاقدام بعض الأحيان ، وأن الجبان والشجاع فى بعض المواقف سيان

ومن هنا كان استغراب الجامدين لما كانوا ينعتونه «بالتفرنج» من تلك العناوين ، وما هو بالتفرنج ولا بالوصف الموقوف على الفرنجة ، ولكنه وصف شائع بين جميع العقول التى بلغت رشدها وخرجت على وصاية « الحدود الحاسمة » أو على وصاية الأسماء والأفعال التى لا تميز بينها الظروف والإضافات

وليس أصعب من إفهام عقل حاسم يتحذلق ويقيم الاعتراضات على ما يسمع . فأنت إذا قلت مثلاً : إن النهار مضيء والليل مظلم ، فذلك تفريق من أصدق التفريقات بين الأضداد : يسمعه العقل المتصرف فيعلم ما تعنيه لأول وهلة ، ويسمعه العقل الحاسم المحدود المتحذلق فيقول لك : كيف ؟ إن النور الكهربائى يضيء بعض الحجرات بالليل ، وإن الستائر لتلقى الظلام على بعض الحجرات بالنهار ! وقس على ذلك أمثال هذه الاعتراضات وما تنم عليه من الضيق والعجز وقلة التصرف والتواء التفكير

وإلا فانك إذا أردت أن تمنع ذلك الاعتراض وأشباهه فقد وجب عليك أن تقول : إن النهار مضيء والليل مظلم ، ثم تتبع هذا التفريق بإحصاء جميع الحجرات التى تحجبها الستائر والنوافذ وجميع الحجرات التى تضيئها المصابيح الكهربائية وغير الكهربائية ، وتعود فتقول : إن النهار مضيء والليل مظلم ما عدا حجرة فى بيت زيد فى طريق كذا فى مدينة كيت وكيت بمصر بالقارة الإفريقية ، وهكذا حتى تستوفى بيان جميع الحجرات فى جميع الطرقات فى جميع المدائن فى جميع الأقطار . فإن لم تذهب إلى هذا التفصيل فأقل ما فى الأمر أن تعمد إلى استثناء لا حاجة إليه ولا مزيد فيه

فما الذى يدعو العقل المحدود إلى أشباه ذلك الاعتراض ؟ أدقة فى فهم ؟ كلا ! بل عجز عن إدراك الحدود بغير إملاء حاسم وعجز عن طلب المعرفة يشغله بالقشور عن اللباب وبالتوافه عن مهام الأمور

وهنا ينبعث لنا من التمثيل مثل آخر للتفريق بين العقل المتصرف المفوض والعقل الحاسم المسخر

فهل من الضرورى أن يلجأ العقل المتصرف إلى التفريقات والظروف فى تعبيراته ؟

وهل إذا قال القائل : « إن النهار مضيء والليل مظلم » نحسبه من أصحاب اللغات الغنية التى يتكلمها المتصرفون أو من أصحاب اللغات الفقيرة التى يتكلمها المحدودون المغلقون ؟

الجواب هنا ينفع فيه التصرف المطلق ، ولا ينفع فيه الحسم المغلق !

الجواب هنا أن ذلك القائل يكون من المتصرفين إذا قدر أن سامعيه لا يعترضون ذلك الاعتراض السخيف ولا يطالبونه ببيان الحجرات فى جميع البيوت والطرقات والأمصار والقارات ، أو باستثناء هو وذلك على حد سواء . فإذا هو سكت بعد تفريقه الموجز فسكوته خير من الإفاضة والتشعيب

وأنه يكون من المحدودين إذا قال : « إن النهار مضيء والليل مظلم » ثم سكت عن المزيد لأنه يجهل مواقع الاستثناء كما يجهلها سامعوه

فالتصرف لازم فى جميع التفريقات حتى التفريق بين المتصرفين والمحدودين

ومن ثم نستطيع أن نقول : إن « الظروف » والتفريقات تكثر فى اللغات الغنية ، ثم نرى أن أصحاب تلك اللغات قد يستغنون عن الظروف والتفريقات ويعرفون كيف يستغنون عنها ومتى يحسن الاستغناء ؛ فلا نعجل بالاعتراض ولا نحسب أننا متناقضون ، لأن التصرف خليق أن ينفى هذا التناقض الظاهر عن أذهاننا وأن يغنينا عن الإسهاب حيث لا حاجة إلى إسهاب

***

ساقنى إلى موضوع الحد الحاسم رأى فى علاقة الأدب والديمقراطية قرأته فى كتاب « لونارد وولف » المسمى بعد الطوفان ، وسأعود إليه ببعض الشرح والتعليق فى غير هذا المقال

وخلاصة رأيه أن الشعراء والقاصين كانوا يرسمون للناس قبل القرن السابع عشر نماذج من طوائف وجماعات . أما بعد القرن السابع عشر وانتشار الديمقراطية فأبطال القصص « أفراد » مستقلة قلما تتكرر فى غمار السواد ، وليست نماذج من طبقة أو طائفة أو قبيل

وعلاقة الديمقراطية بهذا فى رأى « لونارد وولف » ومن يجارونه أن المساواة قد خولت الفرد حرية الظهور فبرزت الخصائص واستحقت من الشعراء والكتاب عناية لم تكن تستحقها حين كان الجمهور أرقاماً متكررة على نموذج واحد ، أو حين كان النبلاء طرازاً مرسوم المراسم لا يختلف فيه إنسان عن إنسان

رأي جميل لا شك فى صدقه واحتوائه للكثير من الأصول والملاحظات ودلالته على سعة المعرفة وحسن التحليل والتعليل

ولكن ما نصيب ذلك الرأى لو وقع للمحدودين من أصحاب الحدود الحاسمة ومن جماعة المطالبين بتعداد الحجرات إذا قيل إن النهار ضياء والليل ظلام ؟

فقبل القرن السابع عشر رسم شكسبير بطله « هملت » وهو ولا ريب « فرد » بين أمراء جميع الأزمان وليس بالنموذج المتكرر فى طبقة الأمراء

وقبل القرن الأول رسم هومير أبطاله الفرسان وهم مختلفون اختلاف أفراد لا اختلاف نماذج

فأين يذهب رأى وولف الجميل لو صدمناه باعتراضات شتى على هذه الوتيرة ؟

يذهب إلى حيث نخسره ويخسره النقد وميزان الآداب ، لأن وصف الشخوص بعد القرن السابع عشر قد اختلف وكانت لاختلافه علاقة بالديمقراطية ما فى ذلك مراء . وعلينا نحن أن « نتصرف » في التفريق بين أجزاء ذلك الرأى فنضيف إلى ميزان الأدب صنجة تعين على الضبط والتميز . أما إذا أبطلنا الرأى وعطلناه حتى يعود لنا وولف ببيان الحجرات المضيئة فى الليل والحجرات المظلمة فى النهار فنحن الخاسرون لأننا نجهل مواقع التدقيق لا لأننا نعرف التدقيق فى نقد الآراء

الحد الحاسم أو العقل المحدود هو آفة الجامدين الكبرى ، وهو علة الركود فى آدابنا وفنوننا ، ولكننا نتغلب عليه ونروض عقباته ، ولا نستدل على ذلك بشيء أدل من زهدنا في الجدل « البيزنطى » عاماً بعد عام

عباس محمود العقاد

كلمة موجزة

المتنبي

أبو تمام ، الوزد ، القافية ، التجديد

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

في (العمدة) لابن رشيق : ثم جاء أبو الطيّب فملأ الدنيا ، وشغل الناس

***

فى (المثل السائر) لابن الأثير : وقفتُ على أشعار الشعراء قديمها وحديثها فلم أجد أجمع من ديوان أبي تمام وأبي الطيب للمعاني الدقيقة ، ولا أكثر استخراجاً منهما للطيف الأغراض والمقاصد

***

فى (خزانة الأدب) للبغدادى : المتنبي سريع الهجوم على المعانى

***

فى (شذرات الذهب) لابن العماد : ليس فى العالم أشعر من المتنبي أبداً ، وأما مثله فقليل

***

قلت ذات مرة للعربيّ الألمعيّ الأستاذ (رياض الصلح) — وقد ذكرنا المتنبي وأبا تمام — : إن الأول كان يحلق فى سماء الشعر بمعانيه ، وإن الثانى كان يغوص فى بحره على لآليه ، فقال : قِفْ . إذن ، المتنبي (طيارة) ... وأبو تمام (غواصة) ...

***

ولقد جاء الذى شغل الناس ، والذى هو دهره من رواة قلائده بما جاء به وهو من تلك القافية وذاك الوزن فى سجن . ولولا هذان لأسمعك (أحمد) من القريض — الذى هو أعجب ، وأراك ما هو آنق مما رأيتَ وأغرب . ولولا هذان لجوّدَتْ الأيام أيّما تجويد تسطيرَ ما أملى فلم يقل :

ولم تُحسنِ الأيام تكتبُ ما أُملي [١]

رُبَّ ما لا يُعبّر (الشعر) عنه
والذي يُضمرُ الفؤادُ، اعتقادُهْ [٢]

وما قيّد الشعرَ العربيَّ إلا قوافيه، وما قصَّرَ خطواته في ميادين الشؤون إلاّ تلكم الأوزانُ (البدويّة) وإلاّ هي؛ والقافية في أكثر الأحايين هي القائلة لا القائل، والوزن هو الوازن لا شعور الشاعر؛ فأكثر الشعر ليس لأهله لكنه للوزن أو للقافية ... إنه مما أُتي، مما وُجد ... ليس هو مما قُصِد ...
وكائنْ في الضمائرِ من معانٍ باهراتٍ مدهشات قد غيبّتها القوافي!

وإذا كان ذلك القديم الكريم الموروث قد كفى في شيء فثمّةَ أشياء لم يستقلَّ بها، والرغائب والمطالب في (الحضارة) في كل وقت جمّة

ولولا أنّ عبقريّةً منتخيةً قويّة عند المتنبي قد أنكرت الجريَ على أساليب القوم أو بعض أساليبهم،

إذا كان مَدْحٌ فالنسيبُ المقدَّمُ
أكلُّ فصيحٍ قال شعراً متيّم [٣]؟

وأرادت أن تحرر ربّها لأقام (الكندي) دهرَه من تُبّاع (الطائي) يأخذ بأخذه فلا يجاريه، ويكدُّ روحه في أن يصوغَ كما يصوغُ فلا يساويه؛ وحبيبٌ في صَوْغِهِ وغَوْصِهِ لا يلحق. «أرادَ المتنبي أن يسلك مسلك أبي تمام فقصرت عنه خطاه، ولم يعطه الشعر من قياده ما أعطاه [٤]» وقلّما ضارع كبيرٌ مقلّدٌ عظيماً مقلَّدا

ولم يستطع المتنبي — على تبرزه وارتقائه — أن يزحزح حبيباً عن مكانته، وما قدر إلا أن يقعد في عرش الشعر معه. وليس بقليل أن يقتطع من ملك حبيب ما اقتطع، ويختلج من رعاياه من اختلج. فالناس بعدهما في كل زمان حزبان: متنبيٌّ، وتماميٌّ، لكن جماعة (أحمد) أكثر عدداً، و(للحبيب) شيعة به مغرمون

وقد قالوا: أبو تمام عند الخاصة أشعر، والمتنبي أشعر عند العامة. وما أنصف المتنبي هؤلاء القائلون. إن في (السيفيات والكافوريات والعضديات) وغيرهن لآيات بينات، وإن فيهن لسحرا. وإذا كان لأبي تمام عشر قصائد علا بهن علوًّا كبيراً، فان للمتنبي قدّامهن خمسين قصيدة أو أكثر من ذلك. وقد يقول قائل — وفي قوله حق — إن طول الأجل وقصره قد أعطيا ومنعا، فلم يعمَّر (حبيب) ما عمِّر (أحمد)

وكان شيوخ ابن خلدون يرون — كما قال — أن نظم المتنبي والمعري ليس هو من الشعر في شيء — الله أكبر! — لأنهما لم يجريا على أساليب العرب [١]

وكلام هؤلاء الشيوخ (شفاهم الله، وشفى ناقل قولهم معهم) ليس بشيء إلا شيئاً لا يُعبأ به؛ فأساليب العرب متنوعة مختلفة، وليس هناك أسلوب أوحد؛ ولكل قبيل طريقة، وللبدوي بلاغة، وللحضري بلاغة، وللاقليم أو المكان، وللخليقة والمزاج أثرٌ وسلطان؛ ولكل عصر أو قرن زيٌّ ولحن. و«أحسنُ الكلام ما شاكل الزمان [٢]» والدنيا في تبدّل مستمر، «وأحوال العالم لا تدوم على وتيرة واحدة، ومنهاج مستقر [٣]» ولكل نابغة نهجٌ معلوم

فتنكّبُ المتنبي عما تنكّب عنه، وسلوكه السبيل الذي

---

(١) في رثاء عبد الله بن سيف الدولة، والصدر (وما تسع الأيام علمي بأمرها) وفي هذه القصيدة:

هل الولد المحبوب الا تعلة — وهل زورة الحسناء إلا أذى البعل
وما الدهر أهل أن تؤمل عنده — حياة وأن يشتاق فيه إلى النسل

والمعري من هنا مشي في تكريه الحياة والنسل إلى الناس

(٢) في أبي الفضل بن العميد يهنئه بالنيروز وفي القصيدة يقول:

عربي لسانه، فلسفي — رأيه، فارسية أعياده
خلق الله أفصح الناس طرا — في مكان، اعرابه أكراده
مثل ما أحدث النبوة في العالم (م) والبعث حين شاع فساده

(٣) مطلع قصيدة للمتنبي في سيف الدولة

(٤) المثل السائر

(١) في (الجزء الأول من كتاب العبر) المقدمة لابن خلدون: الشعر هو الكلام البليغ، المبنى على الاستعارة والأوصاف، المفصل بأجزاء متفقة في الوزن والروى، مستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده عما قبله وبعده، الجاري على أساليب العرب المخصوصة به. فما كان من الكلام منظوما وليس على تلك الأساليب فلا يكون شعراً. وبهذا الاعتبار كان الكثير ممن لقيناه من شيوخنا في هذه الصناعة الأدبية يرون أن نظم المتنبي والمعرى ليس هو من الشعر في شيء لأنهما لم يجريا على أساليب العرب

(٢) المأمون في كتاب الايجاز والاعجاز للثعالبي

(٣) العلامة الفيلسوف ابن خلدون في (مقدمته)

قصة واقعة

للأستاذ على الطنطاوى

« أغارت سيول هائلة ليلتى ٢٤ – ٢٥ اكتوبر على حارستا والمعظمية والضمير من أكبر قرى دمشق الشمالية ، فخربتها ولم تدع فى الضمير حجراً على حجر ، وقتلت الناس بالمئات وتركت من تركت بلا مأوى ولا مال ... »

كانت « منطرة [١] » « سعد الخطار » أعلى منطرة فى « دوما [٢] » ، وكانت تطل على كروم دوما الواسعة والسهول التى تليها ممتدة إلى ثنيّة العقاب التى انحدر منها خالد مَقْدَمَه من العراق فى طريقه إلى اليرموك ساحة الشرف الخالد ، وتشرف من هناك على جنان الغوطة تلوح من ورائها دمشق جنة الأرض أقدم مدن العالم ، يرى خيالها حيال الأفق بمآذنها التى لا يحصيها عدّ ، ومسجدها العظيم تتوّج هامته قبة النسر الباذخة المشمخرة ، والمنائر السامقة العالية ، ويرى منها قاسيون الحبيب ، وهاتيك الجبال . . . وكان سعد الخطار سيد شباب الضمير [١] ، وأشدهم أسراً ، وأجرأهم جناناً ، وأقواهم ساعداً . اشتغل منذ عشر سنين ناطوراً فى كروم دوما ، فعرف فيها بالشدة والبأس ، فتجنب الناس كرْمه وابتعد عنه اللصوص والطرّاء . وكان يجول المساء فى أنحاء الكرم أو ينزل إلى البلد ، وخيزرانه فى يده ، فيجتمع النساء فى طريقه ينظرن بإعجاب إلى قامته المديدة ، وصدره الواسع ، وأكتافه العريضة ، وشاربيه الأسودين المفتوفين ؛ ولكن سعداً كان مع هذه الشدة وهذا البطش رقيق العاطفة ، مرهف الحس ، يحمل بين جوانحه قلب شاعر شاعر ...

***

كان عصر اليوم الخامس والعشرين من اكتوبر سنة ١٩٣٧ وكانت السماء متلبدة بالغيوم ، والأمطار ترش رشاً خفيفاً ، والدنيا مظلمة ترى كأنها فى ساعة الغروب ، وكان سعد فى منطرته ينظر إلى الكرم الواسع الذى حرسه الصيف كله ، وكان موقَراً بالثمر تبدو عناقيده الحمر والبيض من خلال الورق الأخضر كأنها عقود اللؤلؤ والياقوت ، يمتد إلى حيث لا يدركه البصر حافلا بالحياة، فرآه قد اصفرت أوراقه وعطل من الثمر وعاجله الخريف فذوت أوراقه واساقطت تطير مع الريح ؛ ورأى أشجار الشمس التى كان يبصرها دائماً عن يمين الكرم خضراء زاهية ، قد تجردت ولم يبق عليها إلا أوراق صفراء جافة ؛ ثم هبت رياح باردة من رياح الخريف فلفحت وجه سعد ، وحملت هذه الأوراق الذاوية فألقتها فى منطرته فكان يسمع لوقعها تحت المطر صوتاً حزيناً مؤلماً ، فشعر سعد بالأسى يملأ قلبه ... سيضطر غداً إلى فراق هذه المنطرة الحبيبة ، وهذا الكرم الذى ثابر على حراسته عشر سنين وتعلقت حياته به ، وانتثر قلبه فى أرجائه ، فأصبح جزءاً من حياته وقطعة من نفسه ، لا غنى له عنه ، ولا حياة له بدونه ... لقد ملأوا

(١) المنطرة فى عرف الشاميين غرفة من أعواد سقفها من القش أو من أوراق الشجر تبنى على أربعة أعمدة عالية من الخشب يقيم فيها الناطور والناطور فارسي معرب من القديم والاسم النطارة والمنطرة اسم مكان منها

(٢) بليدة على ثلاثة عشر كيلا من دمشق ، يصلها بها خط ترام كهربائى تعد هى وضواحيها عشرين ألفاً ، وهى أشهر قرية في سورية بكروم العنب الأحمر ، وبصنع الدبس والزبيب

(١) الضمير قرية كبيرة شمالى دمشق إلى الشرق على سيف البادية قال المتنبي :

لئن تركنا ضميراً عن ميامننا ليحدثن لمن ودعتهم ألم

سلكه ما ضاراه بل ظاهراه فى إبداعه ونبوغه ، وكان ذلك على هذه اللغة من نِعَم الله . فتحرّرَ (ابن الحسين) من تقليده ، ومشى مشيَ المُدِلّ المستقل فى تجديده ؛ والمقلد عبْد ، ولا يرضى بالعبودية حرّ ؛ والتقليدُ عدم ، والاستقلال كون ، وشَعَرَ المتنبي ذاك الشعر ، وأظهر (أحمد) معجزه

ولى فيك ما لم يقل قائل وما لم يسر قمر حيث سارا [١]

ورأت العربية أكبر شاعر ، وظهر فى العرب شاعرهم

ودع كل صوت غير صوتي فانني
أنا الصائح المحكيّ والآخر الصدى

وما الدهر إلا من رواة قلائدى
إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشدا

فسار به من لا يسير مشمرا وغنى به من لا يغني مغردا

محمد إسعاف النشاشيبي

(١) للمتنبي فى سيف الدولة وقبله :

وعندى لك الشرد السائرات (م) لا يختصصن من الأرض دارا

قواف إذا سرت عن مقولى وثبن الجبال وخضن البحارا

أمس آخر صندوق (سحارة) من العنب جمعوه من بقايا العناقيد ولم يبق فى الكرم ما يحرسه ، فشعر كأنه يفارق ولداً عزيزاً عليه ، قد رباه وتعهده بالعناية ثم فقده ... أو لم يرافق الكرم وهو لا يزال حصرما ؟ أو لم يتعهده حتى نضج وأينع ؟ أو لم يشاهد التجار كل مساء وهم يأتون ومعهم العمال بالعشرات يملأون صناديق (سحاحير) العنب ، وهم يغنون ويصيحون ويترعون الفضاء أنساً ؟ كم بين هذا المشهد وبين مشهدهم أمس وهم يملأون آخر (سحارة) صامتين تلوح على وجوههم أمارات الحزن والكآبة ؟ لم يستطع سعد أن يراهم على هذه الحال فانسل إلى منطرته ووضع رأسه بين يديه يفكر حزيناً ملتاعاً ...

***

جلس سعد يتأمل هذا المشهد ذاهلاً غائباً عن نفسه والمطر يشتد ويقوى ، والماء ينفذ من سقف المنطرة ، وكان سقفها من ورق الكرم الجاف ، وبلل رأسه وثيابه لا يحس به ولا يحفله لأنه ابن البر وصديق الطبيعة ، ولأنه كان ذاهلاً عن نفسه لم يصح حتى أسدل الليل ثوبه الأسود على الدنيا فغيب تحته هذه المشاهد كلها ... صحا سعد فنفض الماء عن شعره وثيابه ، ونشر خيمته فوق رأسه لتمنع عنه المطر ، وأوقد مصباحه الألمانى الذى يظهر للسائرين فى هذا المرقب العالى كأنه نجم من نجوم السماء ... وجلس يفكر ...

ذهب به الفكر إلى بعيد . فذكر حين جاء هذه المنطرة مع عمه وابنة عمه ليلى ، وكان ذلك قبل أحد عشر عاماً . لقد كان فى السادسة عشرة ، وكانت هي فى التاسعة من عمرها ، وكان عمه ناطور الكرم يحرسه منذ ثلاثين سنة ، وهو الذى بنى هذه المنطرة وأعاد بناءها أكثر من عشرين مرة إذ كانت تهدمها الرياح والأمطار والسيول . لقد تصوّر عمه بقامته العالية وجسمه المتين وظهره الذي انحنى قليلا تحت أعباء الزمان ، ولحيته البيضاء ... لقد كان عمه قوياً شجاعاً وكان سعد يعجب به كثيراً كما كان يحب ابنته ليلى ... أحبها منذ كانت طفلة ولكنه لم يكن يعرف أنه يحبها ، ولم تكن كلمة الحب دائرة على ألسنة القرويين ، بل كان من العار على الشاب أن يذكرها لفتاة ...

لم يكن يعرف أنه يحبها ولكنه لم يكن يستطيع أن يبتعد عنها أو أن يمرّ عليه يوم لا يراها فيه ؛ وإذا هو لقيها وذهب معها يلعب أو يرعى العنزات أو يسوق البقرة إلى المزرعة أو يملأ الجرّة من العين ، إذا كان معها ينسى الدنيا كلّها ولا يفكر فى شيء ...

ذكر حين جاء هذه المنطرة أول مرة مع عمه وابنة عمه ليلى وحين تركه عمه مع ليلى لينزل إلى دمشق ، وأوصاه بأن يعتنى بها ، ويحرس الكرم ...

— لقد صرت شاباً يا سعد . كن عاقلا وشجاعاً . لا تدع ليلى تنزل فى الليل من المنطرة . إذا رأيت وحشاً أو سارقاً فأطلق عليه النار . لا تخف من شيء ... هذه هى البندقية ...

وذهب عمه ، وهو يتبعه بصره . فلما غاب عن عينيه أحس سعد بأنه غدا منذ تلك اللحظة رجلا ، وأنه هو حامى ليلى ، وحارس الكرم ، وأنه يستطيع أن يطلق النار من البندقية كما كان يفعل عمه تماماً ، وتمنى من كل قلبه أن يرى وحشاً أو لصاً ليرى ليلى شجاعته ورجولته ، ولكنه لم ير شيئاً .

ذكر كيف قضى الليل مع ليلى ، وكانت ليلة قمراء رخيّة النسيم لطيفة . فتحدثا وتبادلا النكات ، وأحس بلذة لا تشبهها لذة ، ولكنه لم يمسها بيده ، ولم يذكر لها كلمة الحب لأن الشرف والأمانة كانت شعار الشباب فى تلك الأيام ، وليلى ابنة عمه وعرضه ائتمنه عمه عليها ، والله شاهد عليه ...

وقفز به الفكر إلى بلده الضمير ، وقد كبرت ليلى وحجبت عنه فلم يعد يراها إلا على العين أو فى الحقل ؛ ولم يكن يمنعه الحجاب من رؤيتها لأنه حجاب شرعى يظهر الوجه والكفين ويستر كل شيء ، لا كحجاب المدن الذى يستر الوجه بغشاء رقيق يزيده فتنة وجمالا ثم يكشف العنق والصدر والساق وما فوق الساق ، ويظهر الكف والساعد ... فكان يحدثها ويصحبها فى الطريق ؛ ولم يكن بينهما سوء ، لأنها خطيبته المسماة عليه منذ كانا صغيرين ... فهى له ، ولم يجرؤ شاب فى القرية على خطبتها احتراماً لسعد ، وخوفاً من بطشه ...

ومرت فى ذهنه صورة العرس وحفلاته ، ووفود القرى المجاورة والولائم العامة فى الساحات والطرق ، و (الدبكات)

والأهازيج ... مرت فى ذهنه مراً سريعاً ، فأبصرها حية قريبة كأنما كانت أمس ، وقد كانت منذ سبع سنين لم ير فيهـا من زوجته ليلى إلا ما يعجبه يرضيه . ولم تغضبه مرة واحدة . كانت تحيا من أجله ، تهيىء له الطعام وترتب الدار ، وتنتظره حتى يجيء من عمله . فإذا جاء رآها قائمة وراء الباب منتظرة فقبلت يده ، ثم أعانته فى نزع ثيابه ، وصبت على يديه المـاء حتى يتوضأ ويغسل رأسه ووجهه بالصابون ، ثم قدمت إليه الطعام ، ولم تدخر وسعاً فى تسليته وإيناسه . وإذا كان كئيباً أو مهموماً رفهت عنه وواسته . وأضاق مرة ولحقـه الدائنون حتى هددوه بالسجن من أجل عشرين ليرة ، فلم يشعر إلا وزوجته تقدمها إليه زاعمة أنها قد وفرتها من نفقات المنزل ، فصدقها ووفى دينه ؛ ثم علم بعد أنها باعت حليـها التى لا تملك غيرها ...

كانت مثال الزوجة الشرقية المسلمة التى تعيش لبيتها وزوجها وتتخذه سيداً لها ؛ وكان هو مثال الزوج الوفى الصالح الذى يشتغل ويحيا لزوجته وبيته ، ليس له سهرة ولا خليلة ولا عادة من العادات السيئة التى تذهب الأموال وتشقى العيال ...

ثم ذهب الفكر بسعد إلى ولده ، ولده الوحيد يسار ، فهاجه الشوق إليه ، وبرّح به الحنين إلى بيته ، وغلب على حبّـه لهذه الأرض وتعلقه بها . وكان الليل قد انتصف ولم يذق سعد مناماً فنهض ورفع طرف الخيمة فنظر فإذا السماء صافية قد انقشعت عنها الغيوم ، وطلع القمر من وراء الأفق هلالاً ضعيفاً يلقي على الدنيا نوراً كابياً ، فرأى الـكرم أسود مظلماً فعاوده الحنين إليه والحزن على فراقه ؛ وكانت منزلة الـكرم من نفسه كمنزلة زوجته وولده ، بل كانت هذه المنطرة أحب إليه من بيته . وجعل يتأمل الـكرم فامتلأ قلبه أسى ؛ وذكر ليلى ويساراً فأزمع الرحيل ولـكنه اضطر إلى انتظار الفجر ، ولبث صامتاً فغلب عليه النعاس فأغفى إغفاءة قصيرة ثم نهض مذعوراً يرتجف . لقد رأى حلماً مرعباً فتعوذ بالله وسأله أن يحرس زوجه وولده ، ولم يطق البقاء فقام يجمع أمتعته — وما أمتعته إلا فراش ولحاف وبساط وخيمة وصندوق صغير فيه قدر وأطباق وإبريق للشاى — ويلقى على المنطرة النظرة الأخيرة كأنه يريد أن يثبت صورتها فى نفسه ، وأن يودع ما فيها من ذكريات لذة هى أعز ما يملك في حياته ، ثم نزل إلى دابته والفجر يهم بالانبثاق ...

* * *

راقه سكون الليل وجمال الفجر وهذه الـكروم الواسعة التى استيقظت وتسربت إليها خيوط النور من ناحية الشرق فأضاءت صفحتها ، فاشتد به الحنين إلى زوجته وولده ، وشعر أن حبه لهما قد نما فى هذه الساعة وازداد وطغى على نفسه ، فجعل يتصور حركاتهما وسكناتهما ، وكيف يخرجان لاستقباله ، وكيف يتعلق به يسار فيرفعه إلى وجهه ويقبله ؛ ورنت فى أذنيه كلمة (بابا) حلوة مستحبة ، وشعر بعالم من الحب والعطف والوئام يغمره ، حتى أحس بنفسه يطير على متن الهواء فى حلم فاتن لذيذ ، فانطلق يغنى شتى الأغاني القديمة وصوته العذب القوى يشق السكون ويوقظ الطبيعة ، فتجاوبه الديكة من الـكروم المجاورة بزقائها ، والعصافير بسقسقتها الحلوة

* * *

أشرف على البلد ضحى ، فتأمل الفضاء فلم يبصر شيئا ، أين البلد ؟ هل أخطأ الطريق ؟ أم هو لا يزال بعيداً عن البلد ؟ لقد نظر حوله وأنعم النظر فلم يشك أنه حيال البلد . لقد سلك هذا الطريق مئات المرات ، ويستطيع أن يسلـكه مغمض العينين ، فـكيف يخطيء أو يضل ؟ لا شك أنه على صواب ، وأنه قد وصل ، ولـكن أين البلد ؟ وأحسّ سعد كأنه قد بدأ يجنّ . أتختفي بلد برمتها أيها الناس ؟

ودنا حتى وصل البلد ، فلم يجد إلا أكواماً من التراب مبتلة عليها آثار الماء ، تتخللها برك مالها من آخر ، وحجارة منثورة فى البادية نثرا ، فجن جنونه ، وانطلق يصيح : ليلى ! ليلى ! يسار ! يسار ! ليلى ... ويهم شارداً على وجهه ، يدور بلا وعى ، وإذا بشيخ مسنّ من حكماء القرية يهتف به ثم يأخذه من يده ، فيتبعه سعد صاغراً ، حتى يجلسا على كومة من هذه الأكوام ...

— هذه حال الدنيا يا بنى ... إن لله حكمة لا يعلمها أحد ، فلنصبر ولنرض بالواقع ، الحمد لله على كل حال ...

— ولـكن ماذا جرى يا عم ؟ أين ليلى ، أين ابنى يسار ؟

— هذا قضاء الله يا بنى .. لقد كنت نائماً ليلة أمس فسمعت

ضجة فى الطريق ولغطاً ، فخرجت فإذا الناس مجتمعون ، وعلى وجوههم أمارات الذعر الشديد ، وهم يصغون فى خوف شديد ورعب بيّن ، إلى صوت عجيب آت من بعيد ، فأصغيت فإذا صوت عميق مستمر لا ينقطع ، فجزعنا ولم ندر ما هو ؟ فقائل إنها ريح ، ولكنه ليس بصوت ريح ، وقائل هو من أصوات الجن ، وقائل إنه رعد ، وما هو كذلك ، فوقفنا وتهيأنا للنضال ، وحملنا السلاح ، وكان الصوت مستمراً ولكنه جعل يقوى ... ويقترب حتى تبينا فيه هدير الماء ... إنه السيل ! السيل ! وطارت هذه الكلمة على الأفواه ، فأسرع قوم إلى بيوت القرية العالية ، يحسبونه سيلاً كالذى عرفوا من السيل ، لا يبلغ هذه البيوت ؛ وخاف قوم فأسرعوا إلى الجبل ، وقد أعجلهم الخوف فلم يأخذوا معهم غطاء ولا وطاء ، وكنت ممن أمّ الجبل

— وليلى ؟ وليلى ويسار ؟

— لقد بقوا فى البلد ... اسمع يا بنى ، إنها لم تكن إلا ربع ساعة حتى بدا الهول ، نعوذ بالله ... لقد أقبل سيل علوه أكثر من أربعين متراً ، يتكسر ويقذف بالصخور والحجارة والأشجار فغمر أعلى بيت في المدينة ، واختلط هديره العاتى بصراخ النساء وصياح الأطفال وأصوات الشباب ...

— وليلى ويسار ؟

وانحنى سعد على قدمى الشيخ يقبلهما بجنون ويصرخ :

— وليلى ويسار ؟ أرجوك يا عم خبرنى عن ليلى ويسار ؟

قال الشيخ :

— لا حول ولا قوة إلا بالله ... لقد أصبح الصباح وليس فى المدينة حجر على حجر ، ولم يبق ممن كان فيها أحد . لقد وجدت الجثث طافية على وجه البرك وغارقة فى الوحل ومطمورة بالأنقاض ، وجثث حملها معه السيل إلى بحيرة العتيبة ، ولم ينج الا من كان على الجبل ، بقى بلا مأوى ولا مال ...

— وليلى ويسار ؟ وليلى ويسار ؟

ووثب سعد هائماً على وجهه يصرخ وينادي :

لقد جنّ « سعد الخطار » حزناً على ليلى ويسار !

« بيروت » على الطنطاوى

التشريع والقضاء

فى العهد الفرعونى

للأستاذ عطية مصطفى مشرفة

— ٤ —

أما الزواج عندهم فكان نوعين : زواج مدنى تكتسب فيه الزوجة بالشراء ، وكان شبيهه فى روما الزواج المعروف باسم Complio الذى كان خاصاً بالعامة ؛ وزواج دينى يعقد على يد أحد الكهنة ، وكان يقابله عند الرومان زواج Onfarreatio الذى كان قاصراً على الاشراف . وكان المتبع أن يحصل الزواج المدنى قبل الزواج الدينى الذى يقوم بعقده أحد رجال الدين ؛ فكان الزواج بذلك يتم أولا على حسب الأصول القانونية المدنية بطريق الشراء ثم يحصل الزواج الدينى بعد ذلك

وكان ينص فى عقد الزواج على العلاقة المالية بين الزوجين ؛ وكان هذا الاتفاق المكتوب فى صلب عقد الزواج لا يخرج عن طريق من ثلاث : أولها أن يفصل مال الزوجة عن مال الزوج ، وفى هذه الحالة يكون للزوجة أن تتصرف فى مالها دون إجازة زوجها . ثانيها أن يخصص بعض أو كل أموال الزوجة لمساعدة الزوج للقيام بالإنفاق على الأسرة ، وفى هذه الحالة يجب على الزوج ردها بعينها إذا كانت عقاراً أو ردها بقيمها المبينة فى صلب عقد الزواج إذا كانت منقولا . وثالثها أن يشترك الزوجان فى بعض الأموال أو كلها . وسمح القانون للزوجة بأن تشترط فى عقد الزواج أيضاً أن يدفع لها الزوج مبلغاً معينا كغرامة ونفقة لها إذا طلقها الزوج فأعطى لها حق الرهن العام على جميع أموال زوجها ضماناً لما يكون لها من الحقوق عليه . فلما جاء بوخوريس فى القرن الثامن قبل الميلاد وضع القوانين التى تعتبر بحق أصل التشريع الحديث وأعطاه صبغة مدنية بعد أن كانت ذات صبغة دينية . ولقد تأثر بوخوريس عند وضعه شرائعه بقوانين حلفائه الأشوريين والكلدانيين فأخذ عن الكلدانيين مبدأ التعاقد بالكتابة ، فبعد أن كان العقد يتم عند قدماء المصريين قبل بوخوريس بقسم ومحضور

شهود أصبح لا يجوز إثبات حق مدعى به إذا أنكره المدين إلا إذا ثبت بدليل كتابى ، وبذلك أصبح زوال الدين مرهوناً باعطاء سنده . ثم أوجب تسجيل العقود عند كاتب التسجيل فى سجلات مخصوصة نظير رسم معين فأصبح من السهل على أى شخص إثبات صحة سنده

أخذ بوخوريس أيضاً عن الكلدانيين المشتغلين بالتجارة نظام الفوائد فحددها وحرم أن تزيد الفائدة السنوية على ثلث رأس المال ، كما حرم أيضاً زيادة الفائدة على ضعف أصل الدين مهما طالت المدة . وحرم بوخوريس الربح المركب ، وحرم إكراه المدين الجثمانى ، وأبطل استرقاق المدين عند عدم الوفاء ، وجعل التنفيذ قاصراً على أموال المدين دون شخصه

أما فى الأموال فقد اعترف بوخوريس بالملكية العقارية للأفراد بعد أن كان لهم فقط حق الاستغلال دون حق الرقبة ؛ وبذلك أباح بتشريعه هذا حق التصرف فى الأراضى بعقود عرفية ، وبذلك أصبحت تلك الأراضى ضامنة لتعهدات الأشخاص عند عدم وفاء الدين بعد أن كان ضمان الدائن قبل ذلك جثة والد المدين ؛ وكان إذا لم يقم المدين بوفاء دينه قبل موته يحرم من ميزة الدفن وحفلاته

أما فى الإيجار فقد رتب بوخوريس على عقده أن تصبح جميع أموال المستأجر مرهونة رهناً عاماً لوفاء الأجر المتفق عليه . وألغى بوخوريس الزواج الدينى الذى كان يتم على يد الكاهن وأصبح الزواج مدنياً ، واكتفى بالرضا فيه ليتم كباقى العقود . وكان للذكر مثل حظ الأنثى في الميراث . وكان لا يجوز للرجل أن يتزوج بأكثر من زوجة . وجعل بوخوريس حق الرهن العام الذى للزوجة على أموال زوجها يتم بقوة القانون دون حاجة للنص عليه فى صلب عقد الزواج كما كان متبعاً قبل ذلك

من ذلك نعلم أن اصطلاحات بوخوريس التشريعية شملت الأموال والأحوال الشخصية والالتزامات ، وبذلك أوجد للمصريين قانوناً عادلاً للتجارة والمعاملة . ويؤسفنا أن نقول : إن هذه الاصلاحات التشريعية التى قام بها هذا الملك لم تبق طويلاً لأنه فقد عرشه بعد نحو سبع سنوات فاستولى الأثيوبيون على مصر وأسسوا بها الأسرة الخامسة بعد العشرين . وكان أول عمل لهم أن أبطلوا العمل بشرائع بوخوريس وألغوا الملكية الفردية العقارية ومنحوها للإله آمن ؛ وبذا اقتصرت ملكية الأفراد على حق الاستغلال دون الرقبة ، وسمح لهم بأن يتصرفوا داخل دائرة أسرتهم فقط وبعد موافقة كهنة آمن لهذا التصرف فى مقايضة أرض بأرض . ولما ظهر الملك أمازيس أو أحمس الثانى — وهو من ملوك الأسرة السادسة بعد العشرين — حتم على كل مصرى أن يثبت فى آخر كل سنة اسمه ولقبه وصناعته وسبل تعيشه فى سجل وضع خصيصاً لهذا الأمر فى محكمة الجهة القاطن بها ؛ وهذا النظام المبنى على تقسيم العمل وارتباط المصرى بمكان نشأته كان سبباً فى تماسك أفراد الأمة ورقيها اجتماعياً واقتصادياً وصناعياً ، وكان عاملاً قوياً فى توزيع الفلاحين على الأراضى الزراعية

تأثرت شريعة أمازيس بالشريعة الإسرائيلية بعض الشيء فأخذت جزءاً كبيراً من مبادئها عن اليهود الماليين الذين كانوا مقيمين بمصر إذ ذاك

أرجع أمازيس العمل بقانون بوخوريس فأباح لأصحاب الأراضى حق التصرف التام فى أراضيهم بأن أعطاهم حق ملكيتها التامة ثم أرجع مبدأ ثبوت العقود بالكتابة واحتفظ بحد الفوائد القانونية التى قررها تشريع بوخوريس ، وجعل الالتزام بعقد ملزم لطرف واحد ، وأدخل طريقة الاشهاد فى الميزان فى سائر العقود الناقلة للملكية وفيها البيع ، فكانت تطبق على المنقولات الجامدة ، المراد نقل ملكيتها ، وعلى المنقولات الحية كالحيوانات والعبيد كما طبقت على العقارات لصبغة شكلية كما كانت تطبق أيضاً فى التبنى ، وكان يجب لإتمام العقد من وجود ميزان وقطعة من النحاس والعين المراد نقل ملكيتها ، فيحضر طرفا العقد والشهود ، وهنا يمسك المشترى بالعين المراد نقل ملكيتها مقرراً أنه اشتراها بالثمن المقدر بالميزان ، ثم يضرب الميزان بقطعة النحاس مشيراً بذلك إلى وزن الثمن . لذلك كان الميزان يستخدم لغرضين : أولهما وزن العين ، وثانيهما وزن الثمن ؛ وكان يحرر بهذه الاجراءات عقد كتابى

وكان يطبق فى الزواج اجراءات الاشهاد بالميزان ؛ وكان

الزواج يتم بطريق الشراء ، إلا أن الزواج الدينى لم يلغ بتولى أمازيس ، إذ ركن إليه نفر من المصريين المتعبدين . وبذلك بقى الزواج الدينى أيضاً بجانب الزواج المدنى فى حكم أمازيس ردحاً من الزمن

ولقد فقدت الزوجة المركز الممتاز الذى كان لها فى القانون القديم وقانون بوخوريس إذ أصبحت فى قانون أمازيس هي وأموالها ملكا للزوج تحت تأثير الشريعة اليهودية . من هذا نرى أن أمازيس قد هذب القوانين المصرية وأفرغها بعد أن نقح قوانين بوخوريس فى مجموعة سميت بمجموعة قوانين أمازيس سنة ٥٥٤ ق . م

وفى عهد الأسرة الثامنة بعد العشرين تولى الملك أمرنوت أو أمرنوس أو نفيريت واستمر فيه حتى سنة ٣٩٩ ق . م فأمر بتشكيل لجنة لتعديل مجموعة شرائع بوخوريس وتنقيحها فأدخلت اللجنة عليها التعديلات الآتية : وهى أن جعلت سريان الفوائد تبتدئ من يوم حلول ميعاد الدفع ، واعترفت بعقد الرهن (الغاروقة) الذى فيه يعطى المدين عقاره للدائن يستغله وينتفع به لنفسه لحين تمام وفاء الدين . وقد استمر العمل بهذه المجموعة المعدلة بمصر اثناء المدة الباقية من العهد الفرعوني . أما قوانين قدماء المصريين الجنائية فقد صاغوها فى مواد كفلت لهم استتباب الأمن واطمئنان الشعب وقطع دابر البطالة ومنع الغش والتدليس إلى غير ذلك ؛ وذلك بالضرب على أيدى المفسدين ومعاقبة المجرمين بالعقاب الرادع الزاجر ، فكانوا يحكمون بالاعدام بقطع الرأس أو بالشنق على كل من يحلف يميناً كاذبة أمام المحاكم ، وعلى كل من يقتل نفساً عمداً بغير حق مع سبق الاصرار سواء أكان المجنى عليه حراً أم عبداً ، وعلى كل من رأى إنساناً يشرف على الهلاك وكان فى مقدوره أن ينجيه ولم يفعل ، وعلى كل من قدر على تخليص المقتول من القاتل أو القتلة بدون حق ولم يخلصه ، وعلى كل من ظهر أنه يعيش بطريق غير شرعى

وكان يحكم بالعذاب ثم بالحرق حياً على كل من يقتل أحد أبويه عمداً ، فتقطع أصابعه أولا ثم يحرق . وكان الحكم لاينفذ على الحبلى حتى تضع حملها لئلا يعاقب الطفل البرئ ، وبذلك سنوا لنا حكمة أن العقاب قاصر على المجرم لا يتعداه إلى غيره

وكانوا يبيحون إقامة الحدود على الأموات كما تقام على الأحياء فيمنعون من أتى جرماً ومات قبل تنفيذ الحكم عليه من الدفن مع الاحترام

وكانوا يحكمون بالجلد على كل من سب غيره أو وشى به . وكان جزاء الآباء والأمهات الذين يقتلون أولادهم ذكوراً كانوا أم إناثاً معانقة الجثة والبقاء بجانبها ثلاثة أيام بلياليها تحت رقابة الحراس العموميين

وكانوا يحكمون بسل لسان من يهدى عدواً مهاجماً إلى السبل أو يطلعه على أسرار وطنه ومواضع الضعف فيه . وكانوا يقطعون يد من يطفف الميزان والكيل ، أو من يزيف النقود ، أو يقلد خاتم الأهالى والسلطان ، أو يزور فى العقود العرفية أو الأوراق الرسمية . وكانوا يقصرون العقوبة على العضو الذى قام بعمل الجريمة

وكان يشهَّر على رؤوس الأشهاد بكل ولد لم يقم بالإنفاق على أبويه العاجزين عن الكسب ، وليس للولد على الوالدين مثل ذلك . ويحكم بالتشهير أيضاً على كل جندى فر يوم الزحف أمام العدو ، وعلى كل من لاينفذ أوامر رؤسائه . وكان لمن حكم بتجريده من شرفه وفضيحته أن يسترد شرفه واعتباره ، وبذلك تنمحى العقوبة نهائياً إذا قام بأعمال مجيدة بعد ذلك لوطنه فى ميدان القتال

وكانت عقوبة كل من به عاهة تمنعه من إنقاذ شخص قتله آخرون أمامه ولم يبلغ الجهات المختصة عن الجريمة ومرتكبيها منع الطعام عنه ثلاثة أيام وجلده . وكان يحكم بهاتين العقوبتين معاً أيضاً على كل من كلف بالإرشاد عن قطاع الطرق وتسليمهم للمحكمة ولم يفعل ذلك . وكان يحكم على المدعى بالباطل على غيره بنفس الحكم الذى يحكم به على المتهم لو صحت الجريمة . وكان يحكم على كل من حلف من المتهمين أو الشهود بالإله آمن وبالملك بأن يقول الصدق ولم يقله بجدع الأنف وصلْم الأذنين وبالنفى فى أثيوبيا أو إلى ما وراء حدود المملكة

وكان لآمُونْ أن يحكم بفقدان الشرف وما يترتب عليه الحرمان من الوظائف العامة

« تم البحث »

عطيه مصطفى مشرفة

أبو الفرج الببغاء

للأستاذ عبد العظيم على قناوى

— ٣ —

لأبي الفرج الببغاء فى أحاديث الطيف ومناجاة الخيال شعر أفعم حسنا وجودة وعذوبة وحلاوة ، ومعان ملئت جمالاً وروعة وصفاء ورقة ؛ حتى لكأنى به قصد إلى أن يميل ذوى الصبوة والهوى إلى وصال طيف الحبيب ورسمه لا شخصه وجسمه ، فهو يعلمهم كيف يتسلون بمناجاة القلوب عن مداعبة المحبوب ، ويدعوهم مفتنا إلى هذا اللون من الوصال الذى لم يدعهم إليه قبله أحد فى مثل رشيق تعليله وبديع تصريفه وعجيب لعبه بالخيال وجميل استلهامه المعاني ، فمن ذلك قوله :

علمت طيفك إسمانى فما هجعت ... عيناى إلا وطيف منك يطرقنى
فكيف أشكر من إن نمت واصلنى ... بالطيف منه وإن لم أغف قاطعني ؟

فمن من العشاق المولهين لا يرقب أن يسعده ذلك الطيف الطارق ، ولا يشترى الكرى بكل ما يملك إذا علم أنه لا سبيل سواه إلى الوصال ، وهو داعية المتعة بالحسن والجمال ، وإن الغفوة نهزة رسول الحبيب ، ينتهزها ليشفي بها حر الوجيب ؟ وأين من هذا قول ابن المعتز فى مثل هذا المعنى وهو ملك الشعر ولا سيما فى هذا الضرب :

شفانى الخيال بلا حمدة ... وأبدلنى الوصل من صده
وكم نومة لىَ قوّادة ... تقرب حِبي على بعده

وإنها لجفوة جافية — لا نعرفها فى ابن المعتز — ألا يحمد من يشفيه ، وألا يستحق شكره مبعوث حبيبه المصطفيه ، وينسب ذلك إلى نومة قوادة لا تستأهل حمداً ، ولا يستجيز لها أحد شكراً ، لأنها أتت شيئاً نكراً لا أظن ابن المعتز يستميحه لنفسه فى اليقظة ، فكيف يستملحه فى النفوة ؟ ولو أنه قال :

وكم نومة لى مزدانة ... بوصل حبيبى على بعده

لكان — فيما أرى — أكثر توفيقاً وأنبل خيالاً وأعف لفظاً وأكرم حباً . ومما قاله أبو الفرج فى الطيف أيضاً :

يا طيف من أنا عبده من أين لى ... شكر يقوم يبعض ما توليه
ينأى فتدنيه إلىّ على النوى ... فأراه كالتحقيق فى التشبيه
ما كان أحسن حالتى لو أن ما ... أوتيت من كرم وعطف فيه

ولا يساورنى شك فى أن هذه الأبيات أروع خيالاً وأسطع فى معناها جمالاً من أبيات تحاكيها للبحترى قال :

طيف الحبيب ألمّ من عُدَوائه ... وبعيد موقع أرضه وسمائه
يهدى السلام، وفى اهتداء خياله ... من بعده عَجَب وفى إهدائه
لو زار فى غير الكرى لشفاك من ... خبل الغرام ومن جوى برحائه

الحق أن ديباجة أبيات البحترى ناصعة مجلوة ، ونسجها محمل مفوف ، ولكنى مع هذا أرى العجب العاجب من عَجَب البحترى لاهتداء خيال محبوبه إليه من بعيد عدوائه ونأى صحرائه وإهدائه السلام اليه . فكيف يكون حبيباً من يضل محبة طيفه مهما نأى عنه جسمه ؟ ومن هو أولى من المحب المستهام بإهداء السلام؟ ولعل خبل الغرام هو موحى ذلك الخيال ، وإلا فمن يجحد حتى غير العشاق — أن الأرواح تتناجى وتتواصل ، والقلوب تتآلف فتتراسل ؛ سواء فى ذلك تباعدت الأجسام أو تقاربت ، وتناءت الأبدان أو تدانت ؛ فتلك حقيقة لا سبيل إلى نكرانها . وهلا قال كما قال أستاذه أبو تمام :

استزارته فكرتي فى المنام ... فأتانى فى خيفة واكتتام
فالليالى أحق بقلبى إذا ما ... جرعته النوى من الأيام
يا لها ليلة تنزهت الأر ... واح فيها سراً من الأجسام
مجلس لم يكن لنا فيه عيب ... غير أنا فى دعوة الأحلام

واستمع إلى هذا العتب الحلو العبارة ، الرقيق الاشارة ، والاستعطاف البارع اللطيف يكشف به لحبيبه عن غرام ويستوحيه فيه وصله ، إذ يريه أن خياله أعظم به رأفة وطيفه أكثر عليه عطفاً ، إذ يواصله فى غفوة العيون ؛ ولو أنه وجد سبيلا إلى المواصلة في اليقظة وعلى مسمع الرقباء لفعل ؛ لحظره عليه السِّنة ومنعه عنه النوم ، قال :

خيالك منك أعرف بالغرام ... وأرأف بالمحب المستهام
فلو يسطيع حين حظرت نومى ... علىّ لزار فى غير المنام

ومن غزله العذب ووصفه الدقيق الممتع قوله :

يا من تشابه منه الَخلق والُخلق ... فما تسافر إلا نحوه الحدق

توريد دمى من خديك مختلس
وسقم جسمى من جفنيك مسترق
لم يبق لى رمق أشكو هواك به
وإنما يتشكى من به رمق

ومثله قول أبي فراس الحمدانى ، وكأنى بهما ينهلان من معين واحد ، أو أن أبا الفرج جرى فى ميدانه لما أعجبه حسن بيانه ؛ وما من عاب عليه أن يسير على نهج أبي فراس ، فهو فى الشعراء ملك وفى العلياء فلك ، قال :

وشادن قال لى لما رأى سقمى
وضعف جسمى والدمع الذى انسجما
أخذت دمعك من خدى وجسمك من
خصرى وسقمك من طرفي الذى سقما

وترى أن بيتى أبي فراس أنضر معنى وأوفر حسناً ، وأجزل رقة وأجمل دقة من أبيات أبي الفرج ، وإن كلمة تسافر لنابية فى مكانها ، قلقة فى موضعها ، لأن الحدق لا يسافر ، وإنما هو ينتقل أو يتحول ، كما أن السقم لا يسترق إلا إذا كان مسترقه يسعى إلى حتفه بظلفه كما يقولون

ولو أنا أردنا لغزله العنيف استقصاء ، ولنسيبه الطريف إحصاء ، لطال بنا الشوط وما بلغنا الغاية ؛ فلنختم غزله بأبيات بعث بها إلى حبيب رمدت عيناه فأبدع أيما إبداع فى الأسى لأساه ووصف حمرة عينى حبيبه ، وهي تلك التى تقذى لرؤيتها العيون ، وتتأذى من النظر إليها الأبصار وصفاً جعلها مما يسعد لرؤيتها الطرف ، وصورها تصويراً تطمئن له النفس ، قال :

بنفسى مايشكوه مَن راح طرفه ونرجسُه مما دهى حسنه ورد
أراقت دمى ظلماً محاسن وجهه فأضحى وفى عينيه آثاره تبدو
غدت عينه كالخد حتى كأنما سقى عينه من ماء توريده الخد
لئن أصبحت رمداء مقلة مالكى لقدطالما استشفت بها أعين رمد

والوصف في شعر أبي الفرج له المقام الأول ، فجل فنون شعره يحليها الوصف ، وتنتظم التشبيهات الدقيقة الخلابة ، والأوصاف البارعة الجذابة ؛ وإن وصفه ليبلغ ذروة الإجادة والإحسان ، ويصل إلى منتهى الجمال والجلال عند ما يصف الحرب ، أو ما يتصل بها من حشد الكتائب وتسيير الجحافل ؛ وقد عرفنا أن طبيعة كل امرئ أن يحسن فيما يحبه ، وأن يجيد القول فيما يرغبه ، فلعلَّ أبا الفرج كان من رجال الحرب وأبطالها . أصخ إليه يصف جيش سيف الدولة ، فإنه ليصك الآذان برح الحرب تدوى فى قصيده ، فقصف الرعد وزمزمته دون صهيل الخيول ، ووميض البرق ولمعانه لايبلغان بريق السيوف ، وحوافر الخيل أهلة ونجوم تنافس ذكاء ، تلك تضيء فى السماء ، وهذه تتطاير رجوماً للأعداء ، وعين الشمس قد طرفها بعثيره ولكنها احتملته وجعلت منه إثمداً تكتحل به وتستشفى ؛ كل ذلك فى ألفاظ جزلة وعبارات ضخمة ، وطبع قوي ، وخيال سرى ؛ لاينال من جماله ناقد ، ولا يحط من جلاله حاقد ، قال :

قاد الجياد إلى الجياد عوابساً شُعثاً ولولا بأسه لم تنقد
فى جحفل كالسيل أو كالليل أو كالقطر صافح موج بحر مزبد
متوقد الجنبات يعتنق القنا فيه اعتناق تواصل وتودد
متعنجر بظبا الصوارم مبرق تحت الغبار وبالصواهل مرعد
ردالظلام على الضحى فاسترجع الـ إظلام من ليل العجاج الأربد
وكأنما نقشت حوافر خيله للناظرين أهلة فى الجلمد
وكأن طرف الشمس مطروف وقد
جعل الغبار له مكان الإثمد

وهذه أبيات من قصيدة أخرى يمدح بها أبا شجاع فاتك بن يانس ، ويصف فيها إحدى وقائعه الحربية التى خلدتها هذه القصيدة بما جاء فيها من تشبيه رائع ، ووصف جامع . وأى خلود لموقعة إنقلب نهارها ليلاً غاسقاً ، لا يكشف حلكته إلا كر الفرسان فى الميدان ومبادلة الضراب والطعان ، بأسياف لامعة ، وصوارم بارقة قاطعة ، حتي استحال البر بحراً بما سال فى جنباته من دماء الشجعان ، ورأى الأعداء أن الفرار رمز الانتصار ، وأن أعظم فروسية يعتز بها أن يستطيعوا إعطاء الجياد القياد ، لا أن يثبتوا للجلاد والذياد . قال :

واليوم من غسق العجاجة ليلة والكر يخرق سجفها الممدودا
وعلى الصفاح من الكفاح وصدقه
روع أحال بياضها توريدا
والطعن ينتصب الجياد شياتها والضرب يقدح فى التريك وقودا
وعلى النفوس من الحمام طلائع والخوف ينشد صبرها المفقودا
وقد استحال البر بحراً والضحى ليلا ومنخرق الفضاء حديدا
وأجل ما عند الفوارس حسْبها فى طاعة الهرب الجياد القودا

حتى إذا ما فارق الرأي الهوى   وغدا اليقين على الظنون شهيدا
لم يغن غير أبي شجاع والعلا   عنه تناجي النصر والتأييدا

وتكفينا في وصف الحرب هاتان القطعتان فهما تغنيان عن قصائد وتبينان عما له في الوصف الحربي من قدم راسخة وأخيلة سامية ؛ ولنعرض لأشياء أخرى وصفها فأجاد ، فمن ذلك قوله يصف فرساً :

إن لاح قلت : أدُمية أم هيكل ؟   أو عنّ قلت : أسابح أم أجدل
تتخاذل الألحاظ فى إدراكه   ويحار فيه الناظر المتأمل
فكأنه فى اللطف فهم ثاقب   وكأنه فى الحسن حظ مقبل

وهو من أجود ما وصفت به الجياد ، ومن أحسن ما استحدث فى تشبيهها بالفهم الثاقب والحظ المقبل ، كما أنه أتى فى وصف سرعتها بما لم يأت به الكثير ممن وصفوها قبله ؛ فأى سرعة تلك التى تتخاذل الألحاظ دون إدراكها ، ويحار الطرف المتأمل في معرفة كنهها ؟ ومن قصيدة له فى وصف النرجس وهى من خير ماقيل فيه :

ونرجس لم يعد مبيضه الـكأس ولا أصفره الراحا
تخال أحقاف لجين حوت   من أصفر العسجد أقداحا
كأنما تهدي التحايا به   لطفاً إلى الأرواح أرواحا
يلهى عن الورد إذا ماربا   ويخلف المسك إذا فاحا
أحبب به من زائر راحل   عوض بالأحزان أفراحا
فانتهز الفرصة فى قربه   وكن إلى اللذات مرتاحا

وله يصف الورد ، وقد ألمّ فى الأبيات بوصف مجلس الأنس فأبدع فى الغرضين ، وفوق فأصاب فى الرميتين ، وأتى بأنواع من البديع أزهر من أزهار الربيع ، فأشرقت ديباجة شعره عن در منضود وأسفرت عن جوهر منظوم قال :

زمن الورد أظرف الأزمان   وأوان الربيع خير أوان
أدرك النرجس الجنى وفزنا   منهما بالخدود والأجفان
أشرف الزهر زار فى أشرف الدهـ   ـر فَصِلْ فيه أشرف الإخوان
واجلُ شمس العقار فى يد بدر الـ   ـحسن يخدمك منهما النيران
وأدرها عذراء وانتهز الإمـ   ـكان من قبل عائق الإمكان

وقال يصف قدحاً أزرق قد صورت عليه تهاويل ورسم عليه نقوش وتصاوير ، تحسده عليها كؤوس لم تنل ما نال من زينة منحته شعراً خالداً :

كم منة للظلام فى عنقى   بجمع شمل وضم معتنق
وكم صباح للراح أسلمنى   من فلق ساطع إلى فلق
فعاطنيها بكراً مشعشعة   كأنها فى صفائها خلق
فى أزرق كالهواء يخرقه اللحـ   ـظ وإن كان غير منخرق
كأن أجزاءه مركبة   حسناً ولطفاً من زرقة الحدق
مازلت منه منادماً لعباً   مذ أسكرتها الشفاه لم تفق
تختال قبل المزاج فى أزرق الـ   ـفجر وبعد المزاج فى الشفق
تغرق فى أبحر المدام فيسـ   ـتنقذها شربنا من الغرق
فلو ترى راحتى وزرقته   من صبغها فى معصفر شرق
خلت أن الهواء لاطفنى   بالشمس فى قطعة من الأفق

وحسبنا من وصفه الممتع ما قدمناه ففيه صورة رائعة له ، ورسم صادق لشعره ، يملأ النفس روعة وإعجاباً . وإلى عدد تال نذكر أمثلة لبقية أغراض شعره ونماذج من نثره إن شاء الله

عبد العظيم على قناوى

مقالات اسماعيلية

لأستاذ جليل

حلّ برَقَّادَةَ المسيحُ حل بها آدم ونوحُ (١)
حل بها (الله) ذو المعالي وكلُّ شيء سواه ريحُ (٢)

***

هذا (مَـعَدٌّ) والخلائق كلُّها هذا (المعزّ) متوّجاً والدينُ
هذا ضميرُ النشأة الأولى التي بدأ الإلهُ، وغيبُها المكنونُ
من أجل هذا قُدِّر المقدور في أمّ الكتاب، وكُوِّن التكوينُ
فارزقْ عبادَكَ منكَ فضلَ شفاعة واقربْ بهم زلفى فأنت مكينُ (٣)

***

هذا ما وُعِـدَه العالمون والمتعلمون المثقـفون قرّاء (الرسالة الهادية) من (المقالات الاسماعيلية)، وإن الناس منذ الأزمنة القديمة ليتطلعون إلى علم نحلة القوم، وإن الباحثين في الشرق والغرب ليجدّون مفتشين منقبين في كل وقت عن تلك المقالات لينشروها، إذ أنّ أهلها في القديم والحديث قد خبؤوها وكتموها — ويا ليت شعرى أيان يريدون أن يعلنوها؟ — ولم تفدنا كتب (الملل والنحل) لمثل الشهرستاني والأشعرى وابن حزم والبغدادى والتصانيف في (مفاضح الباطنية) لمثل الغزالى وابن تيمية — إلا نُتَفاً نُتِشت من مكنونات الجماعة نتشاً. وليس هناك كتاب معروف مطبوع ظاهر أَلَمَّ بمذهب (الاسماعيليين) إلا (رسائل إخوان الصفاء) فإن فيها خلاصة الاسماعيلية ملفوفة بإسلامية لَفَّ ما كر داهٍ، وهى الاسماعيلية، هي الباطنية، وهم الدهاة دعاتها!

وقد تَوَّه ما فيها علماء متعمقين كأبى حيان التوحيدى وشيخه أبى سليمان السجستاني وغيرهم في المتقدمين، وحيّر حاذقين ألمعيين من المتأخرين من أعجميين وعربيين مثل (باريبه دومينار) والدكتور طه حسين. ولولا أن الأمر استعجم عليهم ماقال أبو حيان وشيخه مثل الذى رواه القفطي في كتابه (إخبار العلماء بأخبار الحكماء)، وما كان الدكتور طه حسين سطر في (مقدمته) لتلك الرسائل ما سطر، ولم يكتب دومينار إلى الأستاذ أحمد زكي (رحمه الله) ذلك الكتاب. وإذا كان أمثال هؤلاء البارعين النحارير قد حاروا ودير بهم «فهم في أمرٍ مَرِيج» فكيف حال من هم دونهم؟

والقصد من هذا الكلام أن (مقالة) الجماعة — وإن ضمنها تلك الرسائل المطبوعة المنشورة — لم تنفك مستورة محجوبة.

وقد قال لى منذ بضع سنين (الدكتور حسين الهمدانى (١))

---

(١) رقادة: بلدة كانت بأفريقية بينها وبين القيروان أربعة أميال، والمعروف أن الذى بناها ابراهيم بن احمد بن الأغلب، وكان تغلب عبيد الله الملقب بالمهدى عليها سنة ٢٩٧ (معجم البلدان). وعبيد الله هذا (ويقال ان اسمه سعيد وعبيد الله لقبه) هو جد العبيديين الذين ملكوا في المغرب ومصر، وفى نسبه اختلاف كثير كما قال (ابن خلكان) وشرح حاله يطول

(٢) (الله): عبيد الله ... والبيتان قيلا فيه حين قدم رقادة، وهما لبعض الشعراء، وقد نسبا إلى ابن هانىء الأندلسى خطأ، وأثبتهما نساخ ديوانه وطابعوه فيه

(٣) لابن هانىء الأندلسى، والشاعر لم يسلك فيما يقول طريق الشعراء في المبالغة والغلو بل قال ما يعتقده هو وما يريده ويدعيه (العبيدى) وربما عد (المعز) ابن هانىء مقتصداً أو مقصراً، وإن كانت تلك النونية الساحرة الفتانة قد ظفرت بخمسة عشر ألف دينار «والله يرزق من يشاء بغير حساب»، ومن قول ابن هانى في المعز.

هو علة الدنيا ومن خلقت له ولعلة ما كانت الأشياء
ليست سماء الله ما ترأونها لكن أرضاً تحتويه — سماء

جاء بلفظة (ترأى) على الأصل

(١) كنت قد رأيت في ثلاث صحف، أشياء في (إخوان الصفاء ورسائلهم) كلها تخاليط فنشرت في جريدة (البلاغ) الشهيرة في ٢ صفر ١٣٥٣ مقالة عنوانها (الاسماعيلية ورسائل إخوان الصفاء) منها هذه السطور: (للنحلة الاسماعيلية دعوتان: دعوة قديمة وأهلها اليوم اسماعيليو اليمن، ودعوة جديدة وإمامها (آغاخان) المشهور؛ والأولى لاتأتم به ولا تعرفه.. ومن شيعة الدعوة القديمة الدكتور حسين الهمدانى أستاذ تاريخ الاسلام في جامعة بومباي. قال — حين تلاقينا وقد ذكرنا الاسماعيلية ورسائل إخوان الصفاء —: إن الاسماعيلية يرون القرآن الكريم كتاب العامة، الجمهور، ثم لطف اللفظة فقال: الأمة، ويرون رسائل إخوان الصفاء كتاب الأئمة. فسألناه رأينا في تلك الرسائل ثم ذكرنا له للمخالفة وابتغاء الايناس قول (المعلمة) أو دائرة المعارف الانكليزية في التربية والتعليم (وهى غير تلك الكبرى) في رسائل إخوان الصفاء وهو: (إن الاسماعيلية قد أفضلت إلى فن التربية والتعليم برسائل إخوان الصفاء) ثم قلنا له: قد قرأنا تلك الرسائل ولخصنا نحلة الاسماعيلية في هذه الجملة: (الاسماعيلية قنطرة (جسر) بين الاسلام والالحاد) فأخرج الدكتور الهمدانى دفتراً وكتب قولنا وقال: ما سمعت بأحسن من هذا) وقد أطلعنى العلامة الأستاذ (خليل مردم) على رسالة مطبوعة للدكتور الهمدانى في (رسائل إخوان الصفاء) فوجدته قد روى تلك المقالة كلها عن (البلاغ)

— وهو من شيعة الدعوة القديمة للاسماعيلية — إنه قد اطلع على مئة مخطوطة من كتب القوم منها (زهر المعانى) الذى أخذ بمؤلفه فيه درجة (الدكتوراه) من جامعة فى لندن، وأنه عازم على نشرها أو نشر طائفة منها. أفنقول — ولم تحقق تلك الأمنية المتمناة — : «وحيل بينهم وبين ما يشتهون» أم نرتقب تلك الكتب فى المرتقبين ؟

إذا ضنّ الأضنّاء بالضنائن[1] ولم تصل أيدينا إلى تلك الخبايا فى المخادع والزوايا، فليس لنا إلا غزو الغازين من الغربيين، والغازى — وإن كان قوياً — يغزي ... والناهب — يا أخا العرب — ينهب ...

وكنت إذا قومٌ غزونى غزوتهم
فهل أنا فى ذيّاك (همدانُ) ظالم[2]

وقد قلت لإسلاميتى (الصحيحة) وعربيتى — وأنا أنسج ما ستتلوه — : قفا واسمعا ولا تتكلما. لا تجادلا ولا تناقشا، فليس المقام مقام جدل، ولا عدل ميل، فالمقالات — والنية هذه — تحكى كما وجدت، وتعطى كما أخذت؛ وإن وجد الخطأ اللغوى لا يصلح، وإن جاء تصحيف أو تحريف فى كلة أو جملة — حاشا الآيات القرآنية — يستبق، وليس لدى نسخة ثانية حتى أرجع إليها. ورب إبقاء على شىء خير من تغييره، والقارئ الفهم لا تخفي عليه الكلمة محرفة ولا تستبهم. ولن يصدنا ذلك عن تعليق أو حاشية

ولو قلنا لأصحاب لنا أدباء فاضلين من (الحاكمية) و(الاسماعيلية) فى بر الشام ممن لا يعبدون (العدم) وقد عبد الأجداد والآباء (العبيديين) وإن كانوا هم — أى الأبناء المثقفون — بعبادتهم كافرين. فلو قلنا لهم: أطلعونا ياجماعة على رسائلكم حتى نعارض (نقابل) هذه (المقالات) بها ونصلحها لقالوا: ما عندنا ولا نعرفها، وإنا مسلمون؛ وإنها لديهم، وإنهم يعرفونها، ولكن المتشيطنين يكتمون ...

ولم يك فى المقالات هذا المسمى بعلامات الترقيم — إلا فى اثنتين — فرأيت وضعه حتى لا تقتحم العين الصفحة قد التصق بعضُ عباراتها ببعض فكدّ البصر، وما هذا الصنع بأمر نكر

وقدرُ هـذه (المقالات) عظيم. ومن عرف نحلة القوم أو ألمّ بها أدرك مما يتلوه مما نمليه ما لا يدركه غير العارف؛ ولو درى شيئاً من اصطلاحات الباطنية الذين قالوا تائهين ضالين ماقالوه فى (رسائل إخوان الصفاء) ما جاءوا خابطى عشوة، وصاروا في عصر البحث والتحقيق ضحكة. ومن قذف بمقال لا ينصره نص ولا يسانده دليل، فهو هذر، وكلامه هدر ...

واعلم أن هذه الاسماعيلية لم تظهر فيها حتى اليوم كتب قديمة تبين كيفية بدئها وحقيقة حالها تبييناً صحيحاً موضحاً شافياً، ولم يهد بحث الباحثين فى هذا الزمن إلى شىء من ذلك

قلت مرة لعالم عاقل إسماعيلي: دعْ قول الإسماعيلية فى أصلها ودع حديث خصمها، فهل أوصلك تحقيقك الناقد، وتفتيشك المدقق، إلى مصدرها الصحيح ومنبعها ؟

فقال: لا

فنحن من نشوء هذه النحلة في ظلمات بعضها فوق بعض. ولعل كتباً قديمة تنجم فتضىء هذا الليل المظلم. ورب علماء محققين لا يجترئون بالقريب المعروف، بل يمشون أقوياء أشداء صابرين في فلوات البحث فيصلون إلى (عين المعرفة)؛ وربّ غوّاصين يغوصون فى بحور البحث والتنقيب غوْصات إثر غوصات فيخرجون لنا شيئاً. ولن يجىء بالدر إلا الغواصون الماهرون

***

فصل فى مناجاة المعز لدين الله

قال هذه:

(إلهي) كنت رتقك، قبل أن تظهر فىّ بفتقك، وأوجدت عنى خلقك، وصدرت عنى دنياك فى الذات والأسماء والصفات. ولست أنا بك متصلا، ولا عنك منفصلا، إذ أنا بك تبعيض، وأنا راجع إليك عند النقلة والتفويض. انقلْ الصورة كيف تشاء، وأعط النور الإلهى لمن تشاء بما قدمت أيديهم ولا نضم مثقال ذرة. (إلهى) انى كما أنت عظيم فى سلطانك، وأنا قدرتك وبرهانك، وإرادتك ومكانك. (إلهى) بمعرفة بى استجب وسلمْ وأشرقْ ألوانك، وإنى وجدتك بعد أن عرفتني التلاقي،

(١) ذكرتنى هذه العبارة (الضادية) برسالتى ابن الحريرى (السينية والشينية) وقسما بلغة (الضاد) ما تكلفت ذلك

(٢) خالك بن حرم، وبعده:

متى تجمع القلب الذكى وصارما وأنفاً حمياً تجتنبك المظالم

واتلف واضمحل . (إلهى) وأفنى من جهلك ، وفاز وبقى من عرفنى بالبداية وفضلك . (إلهى) أترى يعرفك سواك ، ويدنو منك إلا إياك ، أم يعدو إليك من خرج عن طاعتك ، وطاعة حدودك وأوليائك . إلهى بك استدللت ومنك وصلت وإليك[١] (إلهي) ليس غيرى لك حجاب ، فكيف الوصول إليك من غير باب، فأنا منك بحيث النهوض والنهمة ، وأنت أنا بحيث أنا القدرة والعظمة ، وحيث أنا بك خلقت أولياءك ، وبدعت ملائكتك وأنبياءك ، فلما عرفتك كنت ذلك ، إذ ليس يعرفك سواك ، ويدنو منك إلا إياك ، باتصالك بحدودك وأوليائك . (إلهى) إن كثرت الأشخاص ، فهى أنت بلا اختصاص ، وأنا منك بديت ، لأنى بحدودك اهتديت ؛ ان عرشك عليه استويت . (إلهى) أوجدتني منك فى ظاهر الأمر بصفة كانت الموجودات على دفعة واحدة ، فأنت بى باطناً وأنا بك ظاهراً . (إلهى) ظهرت الموجودات كلها بى ، واخترعت منى كل رسول ونبى ، وأنا ابن لك وأنت أبي . أنا منك كالفيض ، وشراقه وليف[٢] فليس الفيض غير الفيض، فقد غاب ، واضمحل كلما فى النار وذاب . (إلهي) رامت رؤساء الجهل وأهل العمى والضلال وذوى الانكار والجحود[٣]، وأنهم خرجوا من العدم إلى الوجود ، وهم فى العدم . يا (إلهى) وصلت إليك ، ومنك دخلت عليك ، فأنا قدرتك الظاهرة ، وعنى ظهرت آياتك الباهرة . إلهى حقنى[٤] ابتلاؤك ، لأنها حلاوة رضائك ، فنفسى منك وإليك انتهت . (إلهى) ظهرت للخلق حتى يعرفوك من حدودك فحجبتهم عنك لما زادونى إنكارك ، وذلك أنهم ضلوا فى التكبر عن أبيهم، فلم يجدوا لهم مرشداً أبداً يهديهم، فأظهروك بي لأنى أنت ، وكونى بك ظاهر ، وأنت فىّ حاضر . (إلهى) أنا الكرسى والمكان ، والوقت والزمان ، وأنا منشىء المثقلات ، وأنا بك عالم ما يكون وما كان . (إلهى) أنا اسمك وموجود اسمك ، وأنا البشير إليك ، والدالّ عليك ، والدالّ على من دالّ[٥] عليك ، فمن تمسك بحدودك نجا ، والصورة معادة ورآء ليس دونك حجاب غيره فقصده لا بلاء سواك بأوحد[١] ولا لك اسم سواي فيستطاع ويعبل ، وأنا صاحب البقاء ، وعلى ذات النطقاء ، وأنا فىّ النطق . (إلهى) قصرت لذاتك إنكار الباحثين إذ لم يقصدوا لحجابك ، وأحجبتهم[٢] عن معرفتك إذ لم يدخلوا إليك من بابك، فهلكوا لما أنكروا لكلمتك، وتاهوا لما عجزوا عن معرفتك. (إلهى) أنت ذاتى ونفسى ، ومعدنى وقدسى ، ونطق وأنسى ، ألا ففىّ اختفيت فاشرقت ، وبى اقتربت[٣] فابرقت . أنا نظرتك بكلمتك الإلهية ، وكلمتك القدسية ، وذاتك الأبدية ، والذات الأزلية الكلية ، ونورك[٤] ، وبى ظهورك ، بك ظهرت وبى نهيت وأمرت ، فمن عرفنى فقد نزهك ، ومن اتصل إليك بحدودى (فقد عرفك) فقد عرفتك أنا غيرى فتكون أعداءك ، ولا أنت غيرى فتكون أفرادك . أنا كنت فيك رتقاً ، وفىّ ذلك حقاً ، فأطلقتنى ولم تفصلنى فى وجودى . أرجوك تعيد ووقت تطلب فتقصد[٥] ، فأنا منك كضوء السراج من السراج ، بلا تبعيض ولا إمزاج . (إلـهى) صدق المستجيب لما قال لأبيه ، إلـهى منك بديت ، وإلى معرفتك اهتديت ، وإليك توجهت ، وإليك تبت ، وبك منك إليك سعيت ، ولو فرطت فيك لاضمحللت وتلاشيت ، ولو اقتديت بغيرك أشركت وتعديت فى طاعتى لك فعرفت ودركت[٦] (إلـهي) كادت نفسي لعظيم امتحانك أن تجهل وتخفى كنه علمك وتكفر حتى ألفت عنانها[٧] بجودة من نور معرفتك ، فجذبت وتلطف قدارتها بضوء من علمك فسكت فيه بعد ما كنت جحدت وتبت عند ماسليت بنعمتك[٨] فنهدت بعد (أن) كانت جحدت فأورثها الثبات بالنعيم المقيم والنجاة من العذاب . (إلـهى) عجزت المقصرون بنظرهم إليك وقالوا لا يجوز الصفة أن تدرك الصانع ، فلو علموا أني بك استقرارهم ، وأن تصديقهم هو إنكارهم . (إلـهى) هل يعرفك من ليس منك ويتفكر إنما هو أنت محال . (إلـهى) لم لم لا تنقل الصورة بما لا تريد ، بل

(١) وصلت إليك
(٢) وإشراقه متألق أو مؤتلق
(٣) شيء حذف فى الجملة
(٤) حقنى
(٥) دل

(١) كذا هذه الجملة والتى قبلها (٢) وحجبتهم
(٣) أو اقتربت (٤) رب محذوف قبل الكلمة
(٥) كذا هذه الجمل
(٦) كذا هذه الجملة
(٧) حتى ألفت عناءها أو حتى ألفت عنايتها
(٨) كذا هذه الجملة

فى وقت تريد ، فلولا نظرك إليها بالمشاكلة لأُفقدت ، ولولا تعطفك بالمناسبة لأُبعِدتْ . (إلهى) لقد خاب من أنكر معرفة نفسه منك ، ولقد ظلم من لم يعرفك بك ، وهو بك ظهر ، وبى حجابك وفي حجابك استتر ، وأنت الناظر بلا حركة . (إلهى) تناهوا الجاهلون فى طلب معرفة حدودك وطلبوها معرفة فى تيجان الملوك ، فلما نظروا حدودك ، نكروك . (إلهى) ناجتك المحقون وقالوا يامبدع الأحد ، من غير عدد ، تختلف الأعداد بك ، بقدرة منك ، دعوناك فالذى عرفك منك إليك ، عاد إليك . (إلهى) تحيرت العقول عند طلبتك ، أتاهت [1] الأبصار فى رؤيتك . (إلهى) قالوا الجاهلون فى معرفتك وما تُبَيّن فلا عرفوا ، (إلهى) لقد غاب من نادى سواك ، ومن عرفك بحقيقة المعرفة تيقن أنك دائم ، ومن أفضل الغنائم . (إلهى) ظهرت لهم فوق المنائر ، فتوهموا أنهم حصلوك بالعناصر ، فأثبتوا التشبيه والتمثيل ، وعدموا التنزيه والتحصيل . (إلهى) عجزوا عن اثبات النفر [2] ولم يعلموا ما حقيقة العيان من الخبر ، فالنظر حجاب عنك لا لك ، والمنظور أنت به لا (هو) فيك . (إلهى) من قال إنه لا يعرفك ، فقد عدمك ، ومن عبدك ، من غير حدودك ، فقد حال إلى غائب معدوم ، فأنا الذى لا تدركه الأبصار ، وأنا أدرك الأبصار ، وأنا اللطيف الخبير [3] ، فاللطيف الخبير ، صورنى بالصورة المرئية ، التى هي الحدود العلوية . (إلهى) بوجود معرفتك اهتديت ، وبعّدت المعصرين عنك تباركت وتعاليت . (إلهى) كنت أنت والمكان ، لأن المكان هو إشارة بالفيض وتكرير الفكر باحضار المكان ، والمكان هو المركز هو الدال عليك . (إلهى) كلما ظهرت عني صورة فظهّرتها أبدع على أولها اخفيا [4] لأنقلها عنى « وأنا فعال لما أريد [5] »

* * *

هذه الأولى من (المقالات الاسماعيلية) والباقيات فى الأعداد الآتيات من (الرسالة)

(قارئ)

---

(١) تاهت أو أتيهت أو أتاهت وفى زائده (٢) النظر
(٣) الآية الكريمة : لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ، وهو اللطيف الخبير (٤) كذا
(٥) القول الكريم : إن ربك فعال لما يريد

الفلسفة الشرقية

بحوث تحليلية

للدكتور محمد غلاب

أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

— ٢٨ —

الفلسفة الصينية

العصر المنهجي — كونفيشيوس

مذهبه

صدر « كونفيشيوس » فى فلسفة النظرية عن نفس النقطة التى صدرت عنها فلسفة عصر ما قبل التاريخ ، وفلسفة « لاهو — تسيه » ، والتي أشرنا إليها فى حينها ، وهي نقطة القول بوحدة الوجود التى تفرع عنها نشوء كائن سلبي أو يتأثر عن الكائن الايجابي المؤثر ، ومن اجتماع قولى هذين الكائنين نشأت المادة ، وبتأثير النفس على هذه المادة وجدت الكائنات الحية التى بين السماء والأرض

غير أن « كونفيشيوس » تعمق فى هذه النقطة وصيرها فلسفية جديرة بالدراسة والتمحيص ، إذ أضاف إليها أن جميع جزئيات الطبيعة مشتملة على الانسجام التام الذى هو سر جمالها وتقدمها وصلاحيتها للوجود ، وأن هذا الانسجام ليس موجوداً فى هذه الكائنات بطريق المصادفة ، بل هو تنفيذ لإرادة إلهية مرسومة خطتها فى منهج السماء ، وأن هذا الانسجام محكم الوضع فى جزئيات الطبيعة إلى حد أنه يظهر « دينا ميكيا » وأنه هو العلة فى تطور الكائنات المادية والظواهر الطبيعية ، ولكن كيف ولماذا كان هذا الانسجام علة لذلك التطور ؟ لم يجب « كونفيشيوس » على هذا السؤال مطلقاً ، لأنه عد البحث فيه فوق طاقة العقل البشرى ، فوافق فى هذه الناحية « لاهو — تسيه » الذى أسلفنا أنه صرح هذا التصريح أيضاً وإن كان لم يكن قد وصل إلى كشف سر هذا الانسجام وأثره العظيم اللذين وفق « كونفيشيوس » إلى كشفهما

على أن المشاهد لدينا هو أن كثيراً من الكائنات تتحرك وتعمل مقودة بالهوى ، فلا تنتج هذه الحركات إلا السوء والشر والرذيلة ؛ فاذا بحثنا عن علة هذا الانقياد للهوى ألفيناها الحيدة عن هذا الانسجام ، فكل خضوع للقانون الطبيعي ينتج الخير والفضيلة والتقدم نحو الكمال ، وكل انحراف عن هذا المنهج ينجم عنه الشر والاضطراب ، لأن الطبيعة فى ذاتها ليس فيها للشر أثر ألبتة ، ولهذا كان أهم واجبات الحكيم هو محاولة رد الانسجام إلى كل جزئية فقدته ، فأنتج فقدها إياه الشر والسوء .

وعلى أساس هذه النظرية بنى « كونفيشيوس » مذهبه الأخلاق وأعلن أن الواجب ينحصر فى تنفيذ أوامر الطبيعة وتطبيق قوانينها القويمة كما سنشير إلى ذلك فيما بعد .

وعنده أن الانسان مشتمل على قوتين كالطبيعة سواء بسواء ؛ وأن كل الفروق الموجودة بين الأفراد البشرية ناجمة عن تغلب إحدى القوتين على الأخرى ، فاذا كانت الغلبة فى الانسان مثلا للقوة الايجابية المؤثرة ، كان ذلك الانسان حكيما بالمعنى الكامل ، وإذا غلبت فيه القوة السلبية كان حكيما عادياً ، وهذا النوع الأخير يظل هكذا حتى يتعرض لعواصف الأهواء والشهوات المختلفة ، فاذا نجا منها ظل كما كان على الفطرة أى في درجة الحكمة العادية ، وإذا غلبه الهوى فحاد به عن صراط الطبيعة السوى نزل من درجة الحكمة العادية إلى درجة العامة الذين يحدثون الشر والسوء

وعنده أن الكمال يتحقق لنوعين من البشر : الأول رجل تبدأ السماء فى إلهامه الحقيقة من يوم ميلاده دون مجهود شخصى من جانبه ، وهو يحصل فى المبدأ على ما يحصل عليه الآخرون فى النهاية ، وهذا هو الحكيم الموحى إليه أو « شينج — چين » . أما الثاني فهو الحكيم الذى يعمل على كسب الحكمة ببحوثه المتواصلة ، ومجهوداته المتتابعة فيحصل على الحقيقة ، وبها يصل إلى الكمال ، ويسمى هذا الأخير : « كيون — تسيه » وفى هذا الصدد يقول « كونفيشيوس » فى كتاب « تايو » : « إن البعض يحصلون عليها (أى الحقيقة) عند ميلادهم ، أما البعض الآخر فانهم إما أن يتلقوها عن الغير وإما أن يحصلوا عليها بوساطة مجهوداتهم وأعمالهم الشخصية [1] »

وعنده أن الانسان الملهم هو ابن السماء الذى يحرس الصراط السوى ويرعاه بفضلها فى جميع أحوال الوجود ، وهو مشتمل على سر إلهي عظيم . أما الحكيم المكتسب الحكمة بمجهوداته فهو ابن الأرض الذى حمايته من الهوى والشر موكولة إلى مجهوده الخاص ، والذى لا يعتمد فى مقاومة ضعفه وفى احتفاظه بانسجامه الطبيعى إلا على نفسه ؛ فاذا نجح اقترب من درجة الحكيم الملهم

وعنده أن حكمة وجود الحكيم الموحى إليه هى إذاعة قانون السماء والسهر على تنفيذه وإنقاذ بنى الانسان من الخروج على الصراط السوى ، وما ذلك إلا رحمة بهم وإشفاقاً عليهم من الحيدة عن الواجب الذي لا تُنْـقَذُ الانسانية من الدمار والاضطراب إلا بالحرص عليه والاحتفاظ به

مطابقة الأسماء للمسميات ، أو التعريفات العامة

لا تزال الأكثرية الغالبة من المثقفين والعلماء فى أوروبا تعتقد أن سقراط هو أول حكيم وضع التعريفات العامة كما صرح بذلك أرسطو . وقد كنت أنا أحد أولئك الذين يؤمنون بهذه الفكرة إلى أن درست « كونفيشيوس » فى شىء من الدقة ، فتبين لي تبيناً يقينياً أن حكماء الصين قد سبقوا حكيم الاغريق إلى هذه الفكرة ، وأن لهم فيها نصوصاً قيمة جديرة بالإعجاب ، وأن الحكمة التي أعلن سقراط أنها تدفعه إلى هذا التحديد هي نفسها التى وردت فى نصوص « كونفيشيوس » وهى الوصول إلى ضبط الأخلاق وتحديد الفضيلة والقبض على الحقيقة عن طريق التطابق المحكم بين الألفاظ والمعانى أو بين الأسماء ومسمياتها ، إذ نحن نعلم أن « السوفسطائيين » لم ينجحوا فى إفساد الأخلاق العامة فى عهد سقراط إلا بوساطة التلاعب بالألفاظ ، فلما أراد سقراط أن ينقذ الفضيلة حارب أعداءها بسلاح الدقة والتحديد فتم له ما أراد . وهكذا كان منهج « كونفيشيوس » إذ أيقن أنه لا سبيل إلى تنفيذ الواجب بدقة إلا بوضع جميع الأشياء في نصابها ، وأن هذا الوضع لا يتحقق إلا بالتطابق التام بين القوالب ومحتوياتها ، أو الألفاظ والمعانى ، أو الأسماء والمسميات ، وهو فى هذا يقول رداً على سؤال وجهه إليه أحد تلاميذه قائلا :

(١) راجع كتاب « تايو » فصل ٢٠

ماذا كنت تفعل لو أنك عُيِّنْتَ حاكماً على دولة ؟ « كنت أبدأ أعمالى بأن أرد إلى كل مسمى اسمه الحقيقى » . ولما لم يفهم التلميذ هذا الجواب سأله قائلا : وما معنى هذا ؟ فأجاب الفيلسوف بقوله : « إن الحكيم يجب أن يحتاط فى تبصر من كل ما لا علم له به ، فاذا لم تتفق الأسماء مع مسمياتها بالضبط وقع الخلط فى اللغة ، وإذا وقع الخلط فى اللغة لا ينفذ شىء من أوامر النظام العام ، وإذا لم ينفذ شىء من أوامر النظام العام ، أهملت الحشمة واللياقة والانسجام ، وإذا أهملت الحشمة واللياقة والانسجام فُـقِد توافق العقاب مع الخطأ ، وإذا فقد هذا التوافق ، أصبح الشعب مضطرباً لا يفرق بين موضع قدميه وموضع يديه . ولهذا يجب على الحكيم أن يضع لكل مسمى اسمه الذى هو له ، وأن يعالج كل موجود حسب التعريف الذى وضع له[1] »

ألست ترى معى أيها القارىء أن فى هذه النصوص « الكونفيشيوسية » برهاناً ساطعاً على أن حكيم اليونان الأول لم يكن مبدع التعريفات العامة ، الجامعة المانعة ، ولا أول من قال بالدقة والتحديد ؛ ثم ألست توافقنى على أن هذه نقطة هامة تضيف إلى ما كشف من مجد الشرق صفحة فخار جديدة ، وأنها لهذا جديرة بالعناية والتسجيل كما أن فيها رداً آخر يضاف إلى ردودنا السالفة على أولئك الأذناب المتفيهقين الذين أنكروا على الشرق ميزة التفلسف النظرى ؟ »

مما قدمنا يتبين أيضاً خطأ بعض الباحثين الأوروبيين الذين سلكوا فى مؤلفاتهم سبيل نزع تاج الفلسفة من فوق رأس « كونفيشيوس » ووَضْعِهِ على رؤوس : « لاهو — تسيه » و « تشوانج — تسيه » و « ميي — تي » وجزموا بأن « كونفيشيوس » لم يكن فيلسوفاً ، وإنما كان أخلاقياً ، ولم يكن أخلاقياً من النوع العالي ، وإنما كان عملياً ، بل نفعياً . فأما دعواهم أنه ليس فيلسوفاً فيبطلها ما أسلفناه ؛ وأما زعمهم أنه عملي أو نفعي فسندحضه حينما نعرض لدراسة الأخلاق عنده

اعتمد أولئك الباحثون في رميهم « كونفيشيوس » بالخلو من التفلسف النظرى على تصريح أثر عنه قال فيه : « إنى لم أبتدع شيئاً جديداً ، وإنما نقلت تراث الحكماء الأقدمين إلى العصر الذى أعيش فيه » . أو « إنى لست مساوياً الحكماء ، وإنما أنا أحاول التشبه بهم » إلى آخر ما صرح به مما يشبه هذه العبارات ولست أدرى كيف يتخذ أولئك الباحثون هذه التصريحات برهاناً على عدم فلسفية « كونفيشيوس » ولا يتخذون أمثالها من كلام سقراط برهاناً على عدم فلسفيته حين نبأته كاهنة « دلفى » بأنه أحكم حكماء الإغريق عامة ، فاستكثر ذلك على نفسه وقال : « أنا لست حكيما ، ولكنى محب للحكمة » . فلم عدوا هذا التصريح من جانب سقراط تواضعاً ومن جانب « كونفيشيوس » برهان الخلو من الفلسفة ؟ ؟

نعم إن « كونفيشيوس » أسس مذهبه على نظريات صينية عتيقة ترجع إلى عصر ما قبل التاريخ ، ولكن هل « بارمينيد » و « أمبيدوكل » و « زينون الأكبر » و « فيثاغورس » و « سقراط » و « أفلاطون » و « أرسطو » فعلوا غير هذا ؟ بل هل « ديكارت » نفسه — على تبرئه من الماضي — استطاع أن يتخلص من أسس التراث العقلي القديم ؟ كلا ، ولكن سحقاً للهوى والسطحية ، فإن جميع الأخطاء الإنسانية ناشئة منهما أو من أحدهما . أما الذى لاشك فيه بعد كل هذا ، فإن « كونفيشيوس » فيلسوف نظري عظيم ، وأن جميع الباحثين الأدقاء يضعونه فى الصف الأول من صفوف الحكماء ، لأنهم يعتمدون فى ذلك على مجموعة ماله من آراء فلسفية مبتدعة كما يتطلب النقد الحديث ، وأنه أخلاقي من طراز « كانت » و « اسبنوزا » وأمثالها من أجلاء فلاسفة العصور الحديثة

« يتبع » محمد غلاب

(١) راجع كتاب « لون — يو » فصل ١٣

للأدب والتاريخ

مصطفى صادق الرافعى

١٨٨٠ - ١٩٣٧

للأستاذ محمد سعيد العريان

— ١٣ —

١ — « إن فى الرجل شيئاً ينقذ المرأة منه وإن هالك بحبها ، وإن هدمت عيناها من حافاته وجوانبه : فيه الرجولة إذا كان شهماً ، وفيه الضمير إذا كان شريفاً ، وفيه الدم إذا كان كريماً . فو الذى نفسي بيده لا تعوذ المرأة بشيء من ذلك ساعة تجن عواطفه ، وينفر طائر حلمه من صدره ، إلا عاذت — والله — بمعاذ يحميها ويعصمها ويعد على طهارتها جناح ملك من الملائكة »

٢ — « ... ويسرف علىّ بعضها أحياناً فأتلهب عليها في زفرات كمعمعة الحريق حين ينطبق مثل الفك من جهنم على مدينة قائمة فيمضغ جدرانها مضغ الخبز اليابس ؛ ثم يسرف على حبها أحياناً فينحط قلبي فى مثل غمرات الموت وسكراته يتطوح من غمرة إلى غمرة ؛ فأنا بين نقمة تفجأ ، وبين عافية تتحول ، وكأنه لا عمل لى إلا أن أصعد مئة درجة لأهبط مئة درجة ... ! »

٣ — « لقيتها وما أريد الهوى ولا تعمده قلبي ، ولا أحسب أن فيها أموراً ستئول مآلها ؛ وكنت أظن أن المستحيل قسمان : ما يستحيل وقوعه فلا تفضى إليه ، وما يمكن وقوعه فتهمله فلا يفضي إليك ، ولكن حين توجد المعجزة تبطل الحيلة ؛ ومتى استطردك القدر الذى لا مفر منه ، أقبل بك على ما كنت منه تفر »

٤ — « ... إنها لأبلغ ذات لسان ، وأبرع ذات فكر ، وأروع ذات نفس ؛ ولو كنا سليلى أبوة ما شهدت لها بأكثر من هذا حرفاً ، ولو كان دمي من أعدائها ما نقصتها من هذا حرفاً ، وعلم الله ما أبغض فيها إلا هذه التى أشهد لها ... ! »

٥ — « ... دعنى أقول لك : إنى أبغض من أحبها .. وإن هذا البغض وجه آخر من الحب ، كالجرح : ظاهره له ألم وباطنه له ألم ! »

٦ — « ... وكما ينشأ الكفر أحياناً من عمل العقل الانسانى إذا هو تحكم فى الدين ، يأتى البغض من هذا العقل بعينه إذا هو تحكم فى الحب ! » (الرافعى)

شعر وفلسفة ، وحب وكبرياء

أترى صوتي يبلغ إليها وهى فى مستشفاها بالشام ذاهلة اللب شاردة الخيال ضائعة الأمل مستطارة القلب ؟

أم ترى صوتى يبلغ إليه تحت أطباق الثرى وبيننا ستة أشهر من عمر الزمان كأنها من البعد وانفساح المدى سنوات وسنوات؟

إنه ليخيَّل إليّ أن هذا الحديث الذى أكتبه عنها وعنه هو رسالة من الغيب إلى هذه الحبيبة الواجدة المحزونة ، من الحبيب الذى أحبها أعنف الحب وأرقّه وما تراءى لها مع ذلك فى عمره الطويل إلا الرجلَ القاسى الذى حطم قلبها بقسوته وكبريائه ، ومات وما تلقت رسالته الأخيرة فنفذت روُحه من أقطار السموات لتمليها علىّ وفيها المعذرة والاستغفار ...

آه لو تدرين كم كان يحبك أيتها الحبيبة ! .. فهل كنت ..؟ ولكن ... ولكن لا سبيل إلى ما فات ... !

* * *

لقد أحبها جهد الحب ومداه ، حبا أضل نفسه وشرّد فكره وسلبه القرار ؛ ولكنه حب عجيب ، ليس فيه حنين الدم إلى الدم ، ولكن حنين الحكمة إلى الحكمة ، وهفوة الشعر إلى الشعر ، وخلوة الروح إلى الروح فى مناجاة طويلة كأنها تسبيح وعبادة ؛ وأسرف عليه هذا الحب حتى عاد فى غمراته خلقاً بلا إرادة ، فليس له من دنياه إلا هى ، وليس له من نفسه إلا ما تهب له من نفسه !

والرافعي رجل — كان — له ذات وكبرياء ؛ فأين يجد من هذا الحب ذاته وكبرياءه ؟ هكذا سألته نفسه !

* * *

وأحبها أديبة فيلسوفة شاعرة تستطيع أن ترتفع إلى سمائه وتحلق في واديه وله مثل قدرتها على الطيران والتحليق فى آفاق الشعر والحكمة والخيال ؛ فما التقيا مرة حتى كان حديثهما فنوناً من الشعر وشذرات من الفلسفة وقليلا من لغة العشاق فى همس من لغة العيون ... وقال لها مرة : « إن الحب يا عزيزتى ... » قالت : « إن فلسفة الحب ... » قال : « بل أعنى حقيقة الحب ومعناه ... » قالت : « دع عنك يا حبيبى ... إن أحلام الحب هي شيء غير الحب ، أفأنت تريد ... ؟ » فاختلجت شفتاه وأطرق ، وراح يسأل نفسه : « ما الحب وما فلسفة الحب ؟ يا ضيعة المنى إن كان الحب شيئاً غير الذى في نفسى ! » وتحدث ضميره فى ضميرها فابتسمت وهى تقول : « ... أنا ما أحببتك رجلا بل

فكراً وروحاً ونفساً شاعرة، وأنت بكل ذلك ملء نفسي وملء قلبي؛ فلا تلتمس فيّ طباع أنثى وإلا ضل ضلالك أيها الحبيب..!»

قال: «فهل رأيتني يا حبيبتي إلا فكرة تطيف أبداً بك، وروحاً ترفرف حواليك، ونفساً نغترف الشعر والحكمة من وحي عينيك ...؟» قالت: «دع عنك ذكر عينيّ يا حبيبي. إن الحب ليس هناك، إن الحب ...» قال: «لا تحدثيني عن الحب. يخيل إلى أني أعرفه لأني أجد مسّه على قلبي كلذع الجمر، ولكن آه، ولكنك أنتِ ...»

وقالت له نفسه: «إنك يا صاحبي تضرب في بيداء؛ إن الشعر والحكمة والفلسفة لا تلد الحب، فهل أحببتها أنت إلا للشعر والحكمة والفلسفة؟ ولكنك بذلك لن تجد منها الحب، إن الحب من لغة القلب، أما هذه ...»

وكان يحبها أديبة فيلسوفة شاعرة، فعاد يباعد بينه وبينها أنها فيلسوفة شاعرة ...!

***

وامرأة هي كانت — إلى أدبها وفلسفتها — «فتنة» خلقت امرأة، فإذا نظرت إليك نظرتها الفاترة فإنما تقول لقلبك: إذا لم تأت إليّ فأنا آتية إليك ... وهي أبداً تشعر أن في دمها شيئاً لا يوصف ولا يسمى ولكنه يجذب ويفتن، فلا تراها إلا على حالة من هذين، حتى ليظن كل من حادثها أنها تحبه وما به إلا أنها تفتنه ...

«رشيقة جذابة تأخذك أخذ السحر، لأن عطر قلبها ينفذ إلى قلبك من الهواء؛ فإذا تنفست أمامها فقد عشقتها ...

«أما أنوثتها فأسلوب في الجمال على حدة؛ فإذا لقيتها لا تلبث أن ترى عينيك تبحثان في عينيها عن سر هذا الأسلوب البديع فلا تعثر فيهما بالسر ولكن بالحب ... ... وتنظر نظرة الغزال المذعور ألهم أنه جميل ظريف فلا يزال مستوفزاً يتوجس في كل حركة صائداً يطلبه ... ...(١)»

والرافعي رجل كان — على دينه وخلقه ومروءته — ضعيف السلطان على نفسه إذا كان بإزاء امرأة؛ فما هو إلا أن يرى واحدة لها ميزة في النساء حتى يتحرك دمه وتنفعل أعصابه؛ وما كان — رحمه الله — يرى في شدة الإحساس بالرجولة وفي سرعة الاستجابة العصبية إلى المرأة إلا أنها أحد طَرَفي النبوغ، أو أحد طرفي النبوّة كما كان يقول؛ فما كان يرى له وقاية من سحر المرأة حين يحس أثرها في نفسه إلا أن يسرع في الفرار. وكثيراً ما كان يقول: «الفرار الفرار؛ إنه الوسيلة الواحدة إلى النجاة من وسوسة الشيطان وغلبة الهوى ...!»

وقالت له نفسه: «ما أنت وهذا الحب الذي سلبك الإرادة وغلبك على الكبرياء ويوشك أن يهوى بك من وسوسة النفس وفتنة الهوى إلى أرذال البشرية ...؟»

فكان لصوت النفس في أعماقه صدى بعيد ...

***

وكان يحبها ليجد في حبها ينبوع الشعر، فما وجد الحب وحده، بل وجد الحب والألم وثورة النفس وقلق الحياة؛ ووجد في كل أولئك ينابيع من الشعر والحكمة تفيض بها نفسه، وينفعل بها جنانه، ويضيء بها فكره؛ وكان آخر حبه الألم، وكانت آلامه أول قدْحة من شرار الشعر والحكمة ...

وقالت له نفسه: «ها قد بلغتَ من الحب ما كنت ترجو، فلم تبق إلا الغاية الثانية وإنك عنها لَعَفٌّ كريم ...!»

***

وهي فتاة ذات جمال وفتنة، ولها لسان وبيان، وما يمنعها دينها ولا شيء من تقاليد أهلها أن يكون لها مجلس من الرجال في ساعة في يوم من كل أسبوع، يضم من شعراء العربية ورجالاتها أشتاتاً لا يؤلفها إلا هذا المجلس المعطر بعطر الشعر وعطر المرأة الجميلة؛ أفتراهم يجتمعون في دارها كل أسبوع لتتوارى منهم خلف حجاب فلا سمر ولا حديث؟

والرافعي غيور شموس كثير الأثرة لا يرضيه إلا أن يكون على رأس الجماعة، أو هو نفسه رأس الجماعة ...

وقالت له نفسه: «أأنت هنا وحدك أم ترى لكل واحد من هؤلاء هنا هوى وحبيبا ...؟»

***

وكانت القطيعة بين الرافعي وبينها من أجل ذلك كله: من أجل أن له ذاتا وكبرياء، وما يريد أن تفنى ذاته وكبرياؤه في امرأة؛

(١) هذا مما يصفها به الرافعي في رسائل الأحزان

ومن أجل أنها فيلسوفة وشاعرة ، وما تجتمع الفلسفة والحب فى قلب حواء ؛ ومن أجل أنها أنثى وأنه رجل له دين ومروءة وزوجة ودار ؛ ومن أجل أنه بلغ مبلغه منها حين وجد الألم فى حبها فوجد ينبوع الشعر الذى كان يفتقد ؛ ومن أجل أن الرافعى الغيور الظنين الكثير الأثرة والاعتداد بالنفس ...!

وخُيِّل إليه حين كتب إليها رسالة القطيعة فى يناير سنة ١٩٢٤ أنه يبغضها ، وأن هذا الحب الذى قطعه عن دنيا الناس عاماً بحاله قد انتهى من تاريخه وطواه القدر فى مَدْرَجة الفناء ، وأن نفساً كانت فى الأسر قد خرجت إلى فضاء الله ...

وأحس فى نفسه حديثاً طويلا يريد أن يفضى به ، وشعر كأن فى قلبه ناراً تَلظَّى ، واصطرعت في نفسه ذكريات وذكريات ، وخيِّل إليه أنه يكاد يختنق ؛ فصاح من كل أولئك مغيظاً محنقاً يقول : « أيتها المحبوبة ، إننى أبغضك ... إننى أبغضك أيتها المحبوبة ! »

ليت شعرى ، أكان الرافعى يعني ما يقول ؟ أكان على يقين حين يزعم أنه يبغضها ؟ أم أنه استعار للحب لفظاً متكبِّراً من كبريائه العاتية فسماه البغضَ وما هو به ولكنها ثورة الحب حين يبلغ عنفوانه فتختلط به مذاهب الفكر ومذاهب النظر فلا يبقى فيه شى على حقيقته ؟

كلا ، ما أبغض الرافعى صاحبته يوماً منذ كانت ولا استطاع أن يفك نفسه من وثاقها ، وما هذه الثورة التى ألهمته كتابيه « رسائل الأحزان ، والسحاب الأحمر » إلا لون من ذلك الحب وفصل من فصوله وكان الخطأ في العنوان ؛ فلما ثابت إليه نفسه نزع به الحنين إلى الماضى ولكن كبرياءه وقفت فى سبيله ، فظل حيث هو ولكن قلبه ظل يتنزى بالشوق والحنين ... !

وجاءت صاحبته إلى طنطا بعد ذلك بقليل ، مدعوَّة إلى حفلةٍ خيرية لتخطب ، وكان الرافعى مدعواً لمثل مادعيت له . وعلى غفلة التقت العيون ، فدار رأس الرافعي وذُهب به ، وعاد الزمان القهقري لينشر ماضيه على عينيه ، وزلزلت نفسه زلزالا شديداً حتى أوشك أن تغشاه غاشية ، وحاول أن يتحدث فوقفت الكبرياء بين قلبه ولسانه ؛ وخشى أن يفتضح فنهض عن كرسيه منطلقاً إلى الباب ؛ ولحقه صديقه الأديب جورج إبراهيم ، فأفضى إليه بذات صدره وودع صاحبته بعين تختلج ، ومضي ...

وانتهى الاحتفال ، ووقفت (هي) تدير عينيها فى المكان فما استقرتا على شيء ؛ ووجدت في نفسها الجرأة على أن تقول : « أين الرافعي ؟ » فما وجدت جواباً ... وكان الرافعي وقتئذ جالساً إلى مكتبه ينشيء قصيدة لمجلة المقتطف عن بعث الحب ... ! وكان آخر لقاء ... !

***

ولقيت الرافعى فى خريف سنة ١٩٣٢ ، فتسرحنا فى الحديث عن الحب ، فكشف لى عن صدره فى عبارات محمومة ، وكلمات ترتعش ، ثم قال : « ... وإن صوتاً ليهتف بى من الغيب أن الماضى سيعود ، وأننى سألقاها ، وسيكون ذلك في تمام عشر سنين من رسالة القطيعة : فى يناير سنة ١٩٣٤ ... » وأخذ يقبض أصابعه ويبسطها ثم قال :

« نعم ، بعد أربعة عشر شهراً سيكون هذا اللقاء ... إن قلبي يحس ، بل إننى لموقن ... بعد أربعة عشر شهراً ، في تمام السنة العاشرة منذ فارقتها مغضباً ، سنلتقى ثانية ويعود ذلك الماضى الجميل ، إنها تنتظر ، وإننى أنتظر ... ! » ، وظل على هذا اليقين أشهراً وهو يحصى الأيام والأسابيع كأنه منها على ميعاد ...!

ومضت السنوات العشر ، ومضى أربعون شهراً بعدها وما تحقق أمله فى اللقاء ، حتى لقي الله ...!

***

هذا هو الرافعى العاشق ، جلوت صورته كما عرفته ؛ أما هى، أما صاحبته التى كان من تاريخه معها ما كان ، فهل كانت تحبه ؟ وما كان هذا الحب ، وماذا كانت غايته ؟

هذا حديث موعده العدد القادم ، فإلى اللقاء

« شبرا » محمد سعيد العريان

قطف الثمار

للشاعر الفيلسوف طاغور

بقلم الأديب عبد الخالق العطار

كانت حياتى أيام الصبا كزهرة ... تفقد واحدة أو اثنتين من وريقاتها الكثيرة ... ثم ينسيها الربيع ما فقدت ... إذا ما وقف ببابها يطلب إحساناً

وودعت الشباب ... فصارت حياتى كثمرة ... ليس لها ما تستطيع فقده ... ولكنها تنتظر من تهب له نفسها كاملة بكل ما تحمل من حلاوة

* * *

هل للأوراق الصفراء والزهور الذابلة أن تشارك الورود الناضرة فى بهجتها بعيد الصيف ؟ وهل لا يرسل غناء البحر أنغامه للأمواج الهابطة ... كما يشجى بها الأمواج العالية ؟

ها هي ذى اللآلىء والدرر ... قد انتظمت فى بساط يقف عليه إلهى ... ولكن هناك كثيرون ... ينتظرون صابرين ... يرجون لمسة من قدمه ...

ما أقل العقلاء ..!.. وما أعظم من يجلسون إلى جوار سيدهم!

ولكنه هو .. لقد احتوى الساذجين بين ذراعيه .. وجعلنى خادمه إلى الأبد ...

* * *

وجدت خطابه مع الصباح ... عند ما استيقظت ...

ولم أعلم ماذا يقول فيه ... فانى لا أعرف القراءة ...

مالى وذاك الرجل العاقل ... الذى يجلس وحيداً بين كتبه ؟

لن أضنيه ... وهو الذى يستطيع أن يقرأ لى خطابى ...

دعنى ... دعنى أضع الخطاب على جبينى ... وأضمه إلى صدرى

وعند ما ينمو سكون الليل ... وتتناثر النجوم في ظلمته واحدة إثر واحدة ... سأبسط الخطاب فى يدى ... وأظل صامتاً !

سيقرؤه لى حفيف الأوراق بصوت عال !

ستغنيه لى المياه وهى تندفع فى مجراها !

سترتله لى سبعة نجوم هادئة ... وسأسمع ترتيلها من السماء !

لقد ضل سبيلى ... وأنا أبحث عما أريد !

لقد استغلق علىّ فهم مالا بد من معرفته !

ولكن هذا الخطاب الذى لم يقرأ ... قد خفف عنى العبء فصارت أفكارى كلها كالأناشيد

لقد ضللت سبيلى حيث تعددت السبل ...

فلا فى المياه الواسعة ... ولا فى السماء الزرقاء ... أستطيع أن أجد لى طريقاً

لقد اختفى الطريق تحت أجنحة الطير ... ووراء النجوم الملتهبة ... وخلف أزهار الفصول المتعاقبة ...

فتساءلت ... أى قلبي ! ألا تحمل مع ذلك حقيقة الطريق الذى لا أراه ؟

* * *

عند ما كنت أختال ببطء بين كنوزى الثقيلة الموروثة ... كنت أشعر كأنى الدودة التى تعيش في الظلام ... تتغذى على الثمرة التى ولدت عليها ...

إني أترك هذا السجن ... سجن الفساد

إنى لا أعبأ إذ أحطم تمثال السكون ... لأنى ذاهب فى طريقى باحثاً عن الشباب الدائم ...

سأتخلى عن كل ما لم يتحد مع حياتى ...

سأتخلى عن كل شى ... إلا ما كان خفيفاً كضحكى

وسأجرى خلال الزمان ...

و ... آه يا قلبى ... فى عربتك الصغيرة يرقص الشاعر ويغنى بينما خياله يسبح

* * *

لقد أخذتنى من يدى ... وأدنيتنى إلى جانبك ... وأجلستنى أمام الناس جميعاً ... وفى مقام عال ... حتى صرت ضعيفاً لا أقوى على النظر ولا السير فى طريقى ... يملؤنى الشك ... ويحيطنى الوجل ... خشية أن أعثر فيصيبني احتقار الناس ...

ولكني تحررت أخيرا ...

فقد دوت الصرخة ... وقرعت الطبول إنذاراً ... وهبط مقعدى فى التراب ...

وتفتحت السبل أمامى !

إن أجنحتى لتطير بها الرغبة إلى السماء ...

إنى أذهب لأحتل مكانى بين النجوم التى تنطلق فى منتصف الليل ... لتغرق فى الظل اللانهائى ، إنى كسحابة الصيف التى تتقاذفها العاصفة ... بعد أن ألقت عنها تاجها الذهبى الذي ألبسته إياها الشمس قبل أن تغيب ... فتعلقت كسيف مسلول على سلسلة من الضوء ... وإذا الرعد يدوى كلما اهتز السيف

وفي فرح اليائس أجري فى الطريق الذى غطاه التراب ... طريق المنبوذين . وأجىء إلى جانبك لأحييك التحية الأخيرة ...

٩٠٥٠

والطفل لا يرى أمه حتى يخرج منها ...

فعندما صرت بعيداً عنك ... وألقيت بمنأى من جوارك ... صرت حراً ... صرت حراً ... فاستطعت أن أرى وجهك

* * *

على بعد وفى هذا المنخفض ينساب نهر الجومنا ... هادئاً رائعاً ... والشاطىء بارز فوقه ... والتلال المظلمة والغابات المتناثرة قد تجمعت حوله ...

وجلس چوڤندا ... معلم الشيخ الأعظم ... على صخرة يقرأ الأساطير ... عندما جاءه تلميذه راجونات ... نخوراً بثروته فانحنى احتراماً وقال :

« لقد جئتك بهدية صغيرة ... لا تستحق منك القبول »

قالها ووضع أمام أستاذه سوارين من الذهب المرصع بالأحجار الثمينة ...

أمسك السيد أحدها ... وأداره فى أصبعه فبرقت الجواهر وأرسلت من الضوء ... وفجأة ... أفلت من يده ... وتدحرج على الشاطئ ... إلى أن بلغ الماء ... واستقر فى القاع

هتف راجونات ... « يا إلهى » ... ووثب وراء السوار فى الماء ...

أعاد المعلم بصره إلى كتابه ... وأمسكت المياه وأخفت ما سرقته ... وسارت فى طريقها ...

واضمحل ضوء النهار ... عندما عاد راجونات إلى أستاذه متعباً يتصبب عرقاً وقال : « قد أستطيع استرجاعه لو أنك أشرت إلىّ أين سقط »

أمسك المعلم السوار الآخر ... وقال وهو يلقيه فى الماء ... ... « إنه هناك »

* * *

يا إله السموات ... إن حديثك سهل بسيط ... ولكن حديث هؤلاء الذين يتحدثون عنك ليس كذلك ...

فما أقرب صوت نجومك إلى فهمى ... وما أبلغ صمت أشجارك.

إن قلبى قد تفتح كالزهرة التى ملأتها حياتى فى خميلة مختفية ...

وأنا شيدك ... كالطيور الآتية من بلاد الثلج النائية ... وتريد أن تبنى لها عشاً فى قلبي ... بما فيه من حرارة كحرارة ابريل ...

ولكم أنا قانع بانتظارى هذا الفصل البهيج

عبد الخالق العطار

الأديان والمذاهب فى الحبشة

رحل الأستاذ محمد تيسير ظبيان الكيلانى صاحب جريدة الجزيرة بدمشق إلى بلاد الحبشة فدرس أحوالها دراسة مستفيضة ثم وضع في ذلك كتاباً يوشك أن يصدر . وقد خص الرسالة بهذا الفصل من فصوله ننشره لحضرته شاكرين

لما لم يكن لبلاد الحبشة حتى هذه الأيام احصاء رسمى صحيح يمكن الاعتماد عليه فى تقدير عدد المسلمين وغيرهم من أتباع الديانات الأخرى فأننا نكتفي فيما يلى بنشر زبدة ما حصلنا عليه من المعلومات المختلفة والروايات المتنوعة فى هذا الموضوع

إن الأديان الرئيسية الموجودة فى الحبشة هي :

الوثنية ، واليهودية ، والمسيحية ، والاسلام ، وقد تضاربت الأقوال فى تقدير عدد مسلمى الحبشة فمن قائل إنهم لا يزيدون عن ثلاثة ملايين ، ومنهم من يقدرهم بخمسة ملايين ، ومنهم من يرفعهم إلى أكثر من ذلك ؛ وكل هذا من قبيل الرجم بالغيب

أما من جهتى فمنذ ألقيت عصا تسيارى فى تلك البلاد أخذت أوجه كل اهتمامى إلى تلك الناحية فرحت أتغلغل فى مختلف الأوساط الحكومية والشعبية حتى وفقت والحمد لله للحصول على النتيجة الآتية وهى لعمرى نتيجة بحث واف وتمحيص دقيق

الاسلام

إن الاسلام هو أكثر الأديان انتشاراً فى بلاد الحبشة ولا سيما بعد أن ضُم إليها مقاطعتا « الصومال الايطالى والأرتيرية . والمسلمون (كما أكد لى موظف مصرى مسؤول) كانوا يؤلفون فى المئة خمسة وخمسين من مجموع السكان ؛ أما الآن بعد أن زالت الأسباب التى كانت تمنعهم من الظهور وبعد أن ضمت منطقة الصومال الايطالى وجميع أهلها مسلمون ، والأرتيرية وكثرة سكانها من المسلمين أيضاً ، فاعتقد أنهم يؤلفون ستين فى المئة (على الأقل) من مجموع السكان. نعم لا أنكر أن بعض المناطق ولا سيما منطقة امهرة أكثر سكانها من المسيحيين ، ولكن المناطق الأخرى يتفوق فيها العنصر الاسلامى على غيره كما سيأتي

والغريب المدهش أن الديانة الإسلامية تنتشر من تلقاء نفسها بسرعة خارقة فى الأوساط الحبشية (وخصوصاً فى المناطق الوثنية) رغم سياسة القهر والعسف التى كانت متبعة ضد المسلمين

ورغم قلة الوسائل الموجودة لدى هؤلاء لنشر دياناتهم والتبشير بها بالنسبة للديانة المسيحية التي كانت البلاد الحبشية تموج برسلها ودعاتها وبعثاتها التبشيرية المنظمة ومن ورائها الحكومات الكبرى تؤيدها والأموال الوفيرة تغدق عليها والحكومة المحلية نفسها تشد أزرها وتسهل مهمتها

حقاً إنه لسر غريب انتشار الدين الحنيف بسرعة البرق في تلك الأصقاع ، وإقبال الأحباش على اعتناقه رغم جميع الصعوبات التي كانت تعترض سبيله وتقف في طريقه ، ولا غرو فمظهر المسلم (وإن كان إسلامه ضعيفاً وناقصاً) جذاب يسحر القلوب ويستهوى النفوس ؛ فهناك التقوى والصلاح ومكارم الأخلاق والنظافة والشهامة والتواضع والوفاء ... الخ

ولست أرى من وراء ذلك الحط من قدر الديانات الأخرى اليهودية والمسيحية . كلا ، فإنها ديانات سماوية أيضاً ، ولكن الأحباش كانوا يتمسكون بقشورها ويتركون لبابها ؛ فهم كانوا بذلك أقرب إلى الوثنية

قال لي الأمير عبد الله أبا جفار سلطان جما في أثناء حديثه معي : إن هذه الديار ديارنا ونسبة الأحباش إلى المسلمين نسبة واحد للعشرين ، ولاسيما في بلاد هرر والعروسى والفوارغى وجمار غوما ولموجيده ؛ فهذه البلاد ليس فيها أثر للمسيحية ؛ وأغلب أهالي برنا وواللو ودارا وحفات والدنا كل مسلمون . وإذا قدرنا سكان الحبشة حسب الاحصاءات الصادرة عن القناصل والدوائر المسؤولة بعشرة ملايين « بما فيها الصومال والأريتريه » فلا يقل عدد المسلمين فيها عن ستة ملايين إن لم يكونوا أكثر من ذلك

وأكثر المذاهب الإسلامية انتشاراً المذهب الشافعي . وليست للمسلمين مع الأسف مدارس عامرة وجمعيات خيرية وأدبية كما هي الحال في مختلف الأقطار الإسلامية إذا استثنينا جمعية الإشفاق الإسلامي التي تألفت في أديس أبابا في عهد الحكومة السابقة ، وكان في مقدمة أعمالها تأسيس المدرسة الإسلامية التي سيأتي ذكرها

وليس بين المسلمين علماء واقفون تماماً على أسرار الشريعة الغراء إلا في مقاطعتي جما وواللو ؛ ويظهر أنه يوجد في جما نهضة إسلامية لا بأس بها سيأتي ذكرها بمناسبة مقابلتي لسلطانها الأمير عبد الله

الدين المسيحي

ويأتي في الدرجة الثانية من حيث الانتشار الدين المسيحي ، وكان دين الحكومة الرسمي وأكثر المذاهب المسيحية انتشاراً : « المنوفيزية » وقد بثها البطريرك ثيودوسيوس الاسكندري في القرن السادس واتخذ ملوك الحبشة هذا المذهب مذهباً رسمياً

وكنيسة الأحباش قائمة تحت إدارة نائب بطريرك الأقباط المعروف هناك باسم « أبونا » وكان له نفوذ كبير وسلطة واسعة تخوله خلع الملك (النجاشى)

ومن المذاهب المسيحية المنتشرة أيضاً المذهب الكاثوليكي وله مبشرون كثيرون ومرسلون عازاريون وكبوشيون

أما المذهب البروتستانتي فقليل الانتشار

الدين اليهودي

يعرف اليهود في الحبشة باسم « فلاشة » وهم يقيمون في الأقاليم الشرقية ، ويقال إنهم متحدرون من القبائل اليهودية الأولى التي توغلت في تلك الجهات . ولا يزيد عددهم عن الخمسين ألفاً ، ويوجد منهم في أديس أبابا نحو مئة شخص ، وهم يعيشون عيشة مستقلة لا يختلطون بأحد من الأحباش ، ولا يتزوجون من غير أبناء دينهم ، ويشتغلون بالزراعة وصناعات النسج

العقائد الوثنية

إن العقائد الوثنية على اختلاف أنواعها منتشرة في بلاد الحبشة ، ولا سيما في الجهات الغربية ، والارساليات الأجنبية تتصل بالوثنيين وتحاول التأثير عليهم . ويعبد أكثرهم الأشجار « وأخصها شجرة الجميز » والأنهار والأحجار والشمس والبهائم والنار . وقد أخبرني شاب حبشي اسمه جرجس ابراهيم أن طائفة منهم تقطن « الفامبيلا » على حدود السودان ، وهم يعيشون في العراء دون أن يستروا أجسامهم ، ولهم طريقة خاصة في العبادة ، وذلك أنهم يجتمعون في كل عام أمام النيل الأزرق ويرقصون ثم يقدمون له ذبيحة كقربان

ولم أستطع أخذ فكرة صحيحة عن عدد الوثنيين في الحبشة ولكنهم لا يقلون على كل حال عن مليون ولا يزيدون عن مليون ونصف

عادات وثنية غريبة

قيل لي انه توجد قبائل في جهات — ووللأغا — لا تدين بدين أبداً ولها عادات غريبة جداً ، منها أن الرجال لا يقتربون من نسائهم إذا كن حبالى ، ويضطر الزوج في هذه الظروف أن يبيت

فلسفة التربيـــة

كما يراها فلاسفة الغرب

للأستاذ محمد حسن ظاظا

« نريد أن ننتهي إلى تقـدير واف لمعنى التربية التى تضعنا فى مركز نفهم فيه الـكون ونكشف الدور الذى علينا فيه أن نلعبه ، كما نتبين كيف أنه يجب علينا ، وكيف يمكننا أن نقوم بهذا الدور بكل ما نستطيع »

هكذا يقول الأستاذ Attlee فى كتابه (Philos. in The Ed. Theory) محاولاً أن يلتمس في الفلسفة تفسيراً أو تقويماً لعملية التربية . ذلك أنا سنسأل ما قيمة التربية فى الحياة ؟ وما قدر عمر المرء بالقياس إلى الأعمار الجيولوجية السحيقة الهائلة ؟ وأى ربح يربحه الانسان من عمله تحت الشمس ؟ جيل يعيش وجيل يموت ، والأرض باقية فما جدوى ذلك كله ؟ لم يجب أن نعيش ؟؟ لم نُلزم بالبقاء فى عالم لم نسأل عنه قبل مجيئنا إليـه ولا نملك فيه حتى حق الموت ؟؟! وما هي الصلة بين مركزنا فى الحياة وواجبات هذا المركز ؟ ؟

.أولئك جميعاً مسائل عسيرة عتيدة يضج منهـا الجمهور لأنه لا يستطيع الخوض فيها بحكم عقله الذى لا ينحو نحواً كلياً يفسر به الظروف الجزئية ويسمو عليها . لذلك تراه يقول حسبنا أننـا نعيش ما دام الواقع أننا نعيش ! ! وحُسبنا أننا نتعلم ونتربى ما دام الواقع أننا كذلك ؟!! ولـكن الفلسفة لا ترضى منه بهذه القناعة ولا تفتأ تقول له : إياك أن تغفل سؤال (لِمَ تعيش) ؟ لا لشئ إلا لأنك تعيش !! ذلك أنك تتقـدم من غير شك إذا ما سلطت النقد على حياتك ونظرت قبل القفز ثم بعـده !! يقول الأستاذ برادلى Bradley فى أصول المنطق ج ٢ ص ٧٢١ « إن ديانة العمل من أجل العمل فحسب ، أو إن كل شئ من أجل العمل ، تنتهي حتما إلى نتيجة مهدومة فى العمل نفسه »

وهكذا تقول الفلسفة للجمهور « قصدك الأساسي هو العمل ، أما أنا فقصدى النظر ؛ ولـكن النظر مع ذلك يسير إلى جانب العمل . أنا أغوص ، والعمل يستفيد من غوصى ، لأنه بى — وبى وحدى — يستطيع أن يفهم لِمَ يعمل ما يعمل » . ذلك أن الفلسفة لا تضرب فى الهواء ولـكنها تحاول أن تحـدد الأشياء بحدودها المنطقية معطيـة إياها نهاياتها الميتافيزيقية ؛ وأن العمل نفسه يصير فلسفة إذا ما نقـد نفسه . لذلك لا غرو أن قالوا إن العمل الصحيح هو ذلك الذى يشعر بنفسه !!

سيقول العمل — وهو لابد قائل — « ولـكن ذلك يضايق !! » وستقول الفلسفة « إنه حقاً يضايق ولـكنه بعـد ضرورى لأن التقدم لم يضر نفسه إلا عن طريق الغرور ! لذلك لا بد من هاتيك الأسئلة السقراطية الحصيفة العميقة كما نأمن مغبة الغرور !! »

وهنا سيعجب « العمل » من قول الفلسفة ، وسيبسم فتضحك « الفلسفة » وتقول له : « حسناً لقـد اقتربنا ! إنك قد بدأت تعجب والتعجب أول خطواتى !! وإذن فـكن مني كما يقول المثل الصينى « كل رغيفاً واشتر بالآخر زهرة !! » وتذكر دائماً أنك تكون إياى حينما تنعكس على نفسك فتختبر حقائقها وترتبها وتبوبها وتجعلها منطقية معقولة !! »

وإذن فليست فلسفة التربية أداة لفهمها فحسب ؛ وإنمـا هى أيضاً أداة لنقدها وإصلاحها . وللفلسفة عدة صور أهمها الميتافيزيقا التى تعطينا فـكرة جامعة عن الـكون . ونحن فى التربية إزاء كائنات راقية هى أفراد الإنسان . وعلم النفس لا يكفى قط لفهم هذه الـكائنات بجميع علائقها ، وإذاً فلا بد من ذلك « التقدير الوافى » الذى تقدمه الفلسفة !! فترى ماذا عسى أن يكون ذلك التقدير ؟؟

تبحث الفلسفة كما قدمنا فى « الكليات » ، وترى « الـكل » ممثلاً فى الجزء كما نرى الحيوان المنقرض فى هيكله العظمى ،

خارج الغرفة أو المنزل الذى تبيت فيه زوجته . ولا يحق له أن يأكل معها وهو مجبر أن يحضر لها كل يوم حيواناً يصطاده وإذا أخفق فلا يحق له دخول القرية

وتمتاز هذه القبائل بصلابة الأجسام وصحة الأبدان وسلامتها من الأمراض

الدروز الأحباش

توجد طائفة فى بعض مقاطعات الحبشة تسمى « بالدروز » وهي منتشرة بنوع خاص فى جهات — غلامو وسيدامو — وعقيدتهم على ما قيل لى خليط من الإسلام والمسيحية واليهودية ولهم أخلاق وعادات شاذة وهم يشتغلون بالنسيج والحياكة

محمد تيسير ظبيان

والإنسان جزء من الكون . وكل أجزاء الكون ترتبط وتندمج في وحدته الكلية . والتربية من أهم تجارب الإنسان إن لم تكن أهمها جميعاً . وسؤال الفلسفة هنا هو ماذا تقوم عليه التربية من أصول ، وما قيمة هذه الأصول ؟؟ ذلك أن التربية أسلوب زمني يعمل لإعداد الفرد كيما يحقق نوعه بإخراج ملكاته من القوة إلى الفعل ، والارتفاع به من الواقع إلى المثل الأعلى ؛ ولما كانت أغلب تجارب الإنسان تقع في حيز الزمن ؛ ولما كان الزمن يقص علينا قصة المجهول على لسان التطور الذي ما فتئ يعمل في الكون منذ السديم الأول إلى اليوم ؛ ولما كانت التربية هي تطور في الفرد مع شعور بهذا التطور ؛ ولما كانت سلسلة التطور تمتد في مجرى الزمن وتمتد حتى المطلق — أقول لما كان كل ذلك — فيما يلوح — حقاً ، فإنه يرجح لدى الأستاذ هرن Horn صاحب كتاب « فلسفة التربية » أن قصة الإنسان تتطور نحو الكمال ، وأن التربية هي وسيلة ذلك التطور . وإذا صح ما يقوله « هيجل » من أن تجارب الإنسان الزمنية ليست إلا مظهراً « للدائم الخالد » ، صح أن التربية من أهم هذه التجارب ..!!

وتعترف الفلسفة بالعقل البشري كآخر منحة للجسم العضوي في تطوره ؛ وكوسيلة للخروج من اللاشعور إلى الشعور ؛ ولذلك نراها تضع يدها عليه لترقيه وتنميه معتبرة إياه أعظم أنواع الحقيقة الزمنية . ويقول هاملتون « ليس في الدنيا أعظم من الإنسان ، وليس في الإنسان أعظم من العقل » . ولكن من أين أتى هذا العقل ؟ أمن العدم ؟ أم من شيء غير عقلي ؟ لا بد من القول هنا « بعقل تام » قائم خلف عقلنا المحدود ، وهذا العقل التام هو السبب الأول لمركز التربية في الإنسان — وهو العقل — بل وهو الضامن كما يقول ديكارت «الموضوعية» الحقائق العقلية ذاتها !

وتكون التربية على ذلك تحقيق للانسانية بجهد خاص قوامه الشعور بالنفس ؛ ولكن ما طبيعة هذا الجهد وما صلته بالكون ؟

سبق أن الإنسان جزء من كل ؛ ويتبع ذلك أنه محدود في شعوره بنفسه لأنه جزء فحسب ؛ هذا بينا الكل الذي يحوي الإنسان ويحوي غيره يجب أن يكون مطلق الشعور بنفسه وذو نشاط ذاتي دائب ... وهذا الكل هو الله

ولما كان الإنسان عقلا بالقوة يتحقق بالفعل بالجهد أو بالنشاط الذاتي ، ولما كانت التربية هي ذلك الجهد نفسه أو ذلك النشاط الذاتي ؛ كانت عمليتها تقرب حتما ما بين الإنسان وخالقه

وإذا أخذنا بمذهب الحلول Pantheism قلنا إن الله تعالى مصدر ما في الكون من قوة وحركة ونشاط . وإذن تكون المادة نشاط في نظر العالم الطبيعي ، ويكون هذا النشاط درجة من الشعور في نظر الفيلسوف . ويكون الله على ذلك هو وحدة الكون الشاعرة التي تحيا الطبيعة فيها والانسان . يقول القديس بطرس : « إننا نعيش ونتحرك ونأخذ كياننا فيه » ؛ ويكون زمن التربية على ذلك هو فترة تحقيق الناشئ لأحد مظاهر الله . وذلك التحقيق يسر الله من غير ما شك . يقول فيختة Fichte « التربية تكميل خالد وطريق لجعل الجزء كُلاً ، إذ الحقيقة الكلية هي الكون أو الله . والحقيقة الزمنية هي الصيرورة . ومن أساليب الصيرورة ذلك الأسلوب الذي يصير به الإنسان ما هو عليه في الأبد . والحياة الأبدية هي أن يكون الإنسان على نحو الله »

***

وخلاصة القول أن التربية تقوم على أن أصل الإنسان هو الله ، وأن الإنسان حر الطبيعة خالد المصير(١) ؛ وأن أساس التنشئة في الناحية البيولوجية هو ملاءمة الإنسان بين نفسه وبين البيئات المتطورة المتجددة ؛ وأساسها في الناحية الفسيولوجية هو العناية بالجسد وتجميله لأنه هيكل الروح المقدس ؛ وفي الناحية النفسية هو أنه لا حد لنمو العقل فلنسم به إلى المطلق ؛ وفي الناحية الإجتماعية هو أن الله يظهر نفسه في الزمان خلال مثل الإنسان العليا من خير وحق وجمال ، وإذا فليكن لهذا الثالوث قداسته واتزانه في حياتنا ...

ويكون التعريف الجامع المانع للتربية في نظر الأستاذ هورن هو « أنها الطريق الأبدي للملاءمة العليا بين الإنسان الكامل جسما وعاطفة وعقلا ، وبين الله ممثلا في البيئة الزمنية للإنسان»(٢)

هذا هو تفسير الفلسفة لعملية التربية . أفلا ترى أنه يرفعها ويقدسها ويجعلها جديرة منا بكل إجلال ، ومن الدولة بكل عناية وتقدير ؟؟

محمد حسني ظاظا

مدرس الفلسفة بشبرا الثانوية الأميرية

---

(١) ويسير علينا إثبات ذلك مما لا يتسع المجال لذكره

(٢) أنظر كتاب الأستاذ هورن Horn في فلسفة التربية الفصل الأخير



رسالة الشعر



غب سماء

للأستاذ فخرى أبو السعود

رَوِيَ الطَّرْفُ والجوانحُ رِيًّا   في أصيلٍ مُشعشعِ الأضواءِ

من جمال الأشياء لمّا تراءت   شائقات الجمال غب سماء

بعد يوم داجي السحاب عَبوسٍ   دائب السحِّ هاطل الأنواء

غائب الأفق لم يَبِنْ فيه حتّى   دَلَفَتْ للمغيب وجهُ ذُكاء

أشرقتْ في غروبها وتبدّتْ   من ثنايا السحاب باللألاء

فأحالت جهامةَ الجوِّ بِشْراً   وأنارتْ جوانبَ الغبراء

وأذابتْ شعاعها الصافيَ الأصـفرَ في الماء والثرى والفضاء

وكَسَتْ من ضيائها أخضرَ الأعـشابِ حُسناً ويابسَ الأكلاء

فهما يَزْهُوانِ في رِيقةِ القَطْـرِ زَهاءً وفي شُفوفِ الضياء

واستطار النسيم بعد ركود   وتَمَشَّى على سطوح الماء

وتراءتْ دون السطوح ظِلالٌ   ذاهباتٌ في رعشةٍ وانثناء

إنَّ في هذه المجالي لَرَوْحاً   وغذاءً للنفس أيَّ غذاء

تُنعِم النفسَ غبطةً وهياماً   بخلودٍ بها لغير انتهاء

وهْيَ وَحيُ الأشعار لاذمُّك الدهـرَ وشكوى الهوى وطولُ البكاء

هِيَ شِعْرُ الوجود أحْرِ بِهِ أنْ   يُلهِمَ الشِّعْرَ أنفسَ الشُّعَراء

خيرُ ذخرٍ للنفس ديوان شِعرٍ   قد حوى حُسْنَ هذه الأشياء

يبسم الزهرُ فيه من كل سطر   ويهب النسيمُ حُلْوَ الزكاء

فكأنّي أسيرُ إذْ أجتليه   في رياض مُنَضَّراتِ النماء

قد تهادَتْ بها الأماليدُ والأزْ   هارُ شتّى الألوان والأسماء

يصفُ المبهم الدقيقَ ويُحصي   كلَّ شيءٍ بالنظرة الجلواء

حاكياً مَوْقِعَ الجمال ومَهْوى   فتنةِ الكون في فؤاد الرائي

يصف الفجرَ إذْ يهب على الأرْ   واحِ رَطْبَ الأنفاس والأنداء

وضياء الشروق ينتظم الكو   نَ بفيْضٍ من روعة وبهاء

وضُحىً مُنْضِراً وُجوهَ الروابي   وثغور الحدائق الغنّاء

وأصيلاً هَيْنَ النسائم قد شا   عتْ بأضوائه ظلالُ المساء

فخرى أبو السعود

ليلة قمراء!

للأستاذ خليل هنداوى

أحجبي عن مقلتي بدر السما   أنتِ في عيني وقلبي القمر!

هل لمحت الكون لمّاع السنا   كل شيء فيه عين تنظر

كل ما فيـه سكون حولنا   وضياء ضل فيه البصر

ولنا في الغاب ظل وارف   وغصون للهوى تنهصر

كل دنيانا هنا ، ما نبتغي ؟   لو أردنا لتدلّى القمر

قد رآنا الليل من أشيائه   فتولانا ، ونام القـدر

وكسانا النور ثوباً راجفاً   نتراءى فيه أو نستتر

نجعل النور جناحاً وعلى   غارب النور يطيب السفر

يبتغي البدر بأن يغريني   ليتما للبدر عيناً تبصر

فيرى البدر الذي ألهمني   سكرة تصحو ، ومحواً يسكر!

خليل هنداوى

بين ابن زيدون وولادة

شاعر الحب ... (١)

للأستاذ محمد بهجة الأثرى

مهداة إلى الصديق « الزيات »
مصور الحقيقة والجمال والخير
« الأثرى »

حيِّهِ من شاعرٍ فى الغابرينْ — عاشَ حيًّا فى قُلوب العاشقينْ
شاعرُ الحبِّ ، وما أعظمَهُ — لَقبًا يَحْيا به فى الخالدين !
شاعرُ الحبِّ ، وما الدنيا سوى — نَغَمِ الحبِّ وشعرِ المُغْرَمين
وبقاياها فضـول مُنِيَتْ — بتعاطيها نفوسُ الأكرمين
هل يروق العيشُ فى غيرِ هوى — أو يروق العيش فى غير حنين؟
لا ودلِّ الغيـدِ فى فتنتِهِ — وجلالِ الحسنِ فى الُخلقِ الحصين

***

جلَّ ما رقرقه فى شـعره — من دموعٍ وزفيرٍ وأنينْ
قِطَعٌ من كبِدٍ مقروحة — صَلِيَتْ فى الحب نيرانَ الشجونْ
وفؤادٍ من تباريح الضنَى — ذابَ إلاّ رَمَقاً لا يَستبين
قطّرتها شَجَناً أنفاسُـهُ — كحنَانِ الإلفِ ناءاه القرين
وجَلَتْها فتناً أشعارُهُ — كرُواءِ السحرِ، تسبى الناظرين
ضحِكٌ فى دمعةٍ رقراقةٍ — وتعالٍ فى خضوعٍ مستكين
لَمَحاتٌ تنبرى مسرعةً — كوميضِ البرقِ أو نبضِ الوتين
من ضلالِ النفسِ فى حَيْرتها — وخداعِ القلب بالوصل الضنين
يرهبُ الفُرقةَ أنْ تُفزِعَهُ — ويخاف الدهرَ ألاّ يستكين
بين يأسٍ من يقينٍ عنده — ورجاءٍ يبتغيه فى الظنون
مادرى الأمنَ فؤادٌ عاشقٌ — ساعةً دون ارتياعٍ من كمين

***

أيُّ قلبَيْنِ إذا ما اجتمعا — وعيونٍ تتلاقى بعيون !
قفْ تأمَّلْ خفقاتٍ نطقتْ — بالهوى وارْنُ إلى السحر المبين
وتصوَّرْ مبسمَيْن التقَيَا — وعناقَيْنِ : خَدِيناً لخدين
في أحاديثَ كأنفاس الصَّبَا — وشذا الوردِ ورَقْراق المعين
يقطعانِ الدهرَ فى ظلّ الصِّبا — بين لَثْمٍ وعناقٍ وأنين
كلّما جَدَّ الهوى زادا به — لَعِباً يُغري ولهواً وحنينْ
هل ترى من غِبطةٍ رفَّتْ على — مشهدٍ أبدعَ يحلو ويَزِينْ ؟
وقف الدهرُ عليه ثَمِلاً — يغبط الإلفَيْن كالصبِّ الغَبينْ
لا أخافَ اللهُ قلباً هائماً — ببنات الحسن من حُورٍ وعِين

***

يا دعاءً ما استجابَتْه السما — لعشيقَيْن على كرِّ السنين
ليتها فى عاشقَيْ قُرْطُبـة — لبّتِ القولَ لذُلِّ الضارعين
إن ما ذاقاه فى ظل الهوى — من أفاويق حَلَتْ ، عادَ وَزِينْ
ضَرَبت أيدى النوى بينهما — والنوى أقتلُ داء العاشقين
النوى ؟ سل بالنوى مَنْ ذاقها — يُزِلِ الشكَّ ويُخْبِرْكَ اليقينْ
ظمأٌ بَرْحٌ ، وشوقٌ دائم — وجوىً يُذوِى ، وسقمٌ وجنون
ما لها طِبٌّ يداويها خلا — عودةَ الوصل قريناً لِقرين

***

يا لساناً وقَّع الشجوَ الذى — سَحَرَ الدنيا وهزَّ المُغْرَمين
ولدتْ (ولاَّدةٌ) أنغامَه — فتناغى بأفانين اللحون
قد أصاب الحبُّ من قَلْبَيْهما — عاشقاً طهراً ومعشوقاً رزين
ما مشى الرَّيْبُ إلى قُدْسِهما — وهوى الناسِ ارتيابٌ ومُجُون
يَعْصِمُ النُّبْلُ ويَحْمى حوضَهُ — بقُوى النفس وبالُخلق المتين
يعرِفُ الصدقَ أخو الصدقِ فدَعْ — كَذِبَ الشكِّ وغَمْزَ الجاهلين
ربَّ حبٍّ كنمير الماء في — صفوه : طُهْرٌ وعذبٌ ومَصون

(بغداد) — محمد بهجة الأثرى

(١) من ديوان « ظلال الأيام » المائل للطبع



الفن الهندي

النحت والتصوير

للدكتور أحمد موسى

— ٣ —

وبلغت الثروة الفنية فى النحت الهندى مبلغاً عظيما من الكثرة والاتقان ، وذلك بالنظر إلى ما بقى منها فى المعابد والمبانى الأثرية الكثيرة التى كان الدافع إلى تشييدها الرغبة الأكيدة فى خدمة العقيدة الدينية

وقد انقسمت منحوتات الهنود إلى قسمين أولهما النحت نصف البارز الذى بلغ حيناً درجة التجسم الكامل لولا التصاقه بالأرضية الموجودة تحته ، وثانيهما النحت الكامل المعروف بالتماثيل

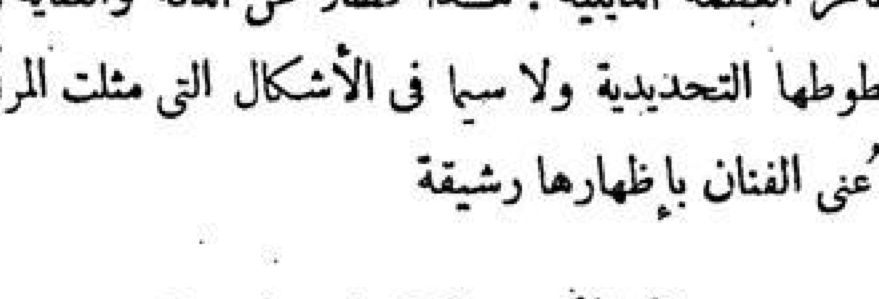
ولما كانت المنحوتات والتماثيل قد أنشئت للمعابد وما إليها بقصد تنسيقها وتجميلها ، فان معرفة تطور النحت الهندى معرفة صحيحة تكاد تكون غير ممكنة بالنظر إلى السبب السابق التنويه به في المقال الأول

وقد شملت المنحوتات والتماثيل المناظر الخيالية والدينية ، ولكنها كانت فى جوهرها بعيدة عن الاقتباس من الطبيعة . ثم حاول الفنان الهندي أن يصور الحقيقة فى منحوتاته فسار متجها إلى المناظر الحربية ، وإلى مناظر حياة بوذا فى منحوتات نصف بارزة وجدت فى توبا سانتشي

أما بقية المنحوتات البوذية بوجه عام فكانت دينية وقصصية نحتت على الحوائط الداخلية والخارجية للمعابد ، وكان من بينها ما تم عمله بحالة فائقة من الدقة التى تدعو للاعجاب . وقد بلغ ارتفاع بعض التماثيل حوالى ثلاثين متراً وهذا ارتفاع هائل شابهوا فيه المصريين بعض الشبه

وسار النحت البراهمى نحو القصة والدين ، إلا أنه كان أكثر تعمقاً وأبعد خيالا ؛ فأظهر لنا فى وضوح حياة الآلهة والأبطال فضلا عن بعض مناظر لحيوانات خرافية ولراقصات ومغنيات خصصن لخدمة المعابد برقصهن وغنائهن

ولعل الطابع المميز لهذه المنحوتات أنها كانت لا تمثل الحقيقة الخالصة فى مجموعها ، وهذا يخالف بالطبع ما سبقت مشاهدته من منحوتات الإغريق (راجع الرسالة : أكروبوليس أثينا — النحت) ولم تكن هذه الظاهرة لتمنع من تمتعها بقسط كبير من الحياة وجمال التكوين . فالآلهة التى نحتت بحيث كان لها ستة أيد كانت وجوهها وملامحها دقيقة الاخراج ، بدت عليها مظاهر العظمة الدينية . هذا فضلاً عن الدقة والعناية فى سير خطوطها التحديدية ولا سيما فى الأشكال التى مثلت المرأة عند ما عُنى الفنان بإظهارها رشيقة



ش ١ — تماثيل على حائط معبد إيللورا

وتناول النحت الهندى ناحية أخرى جديرة بالتسجيل ،

وهى ناحية المناظر الدراماتيكية ، منها قطعة مشهورة اسمها « تطاحن الآلهة » ، وأخرى اسمها « أحلام الوصول » وهما وإن كانتا من المناظر الدينية ، إلا أنهما أقرب إلى تمثيل النفس الفنية ، وما يمكن أن تسبح فيه من خيال ، وقد تمكن الفنان من إخراجهما بقوة تمثلت فى إظهار فهمه للطبيعة وما يدور فيها من مظاهر الحياة



ش ٢ — نحت نصف بارز من مهاماليابور

وتكاد تكون مجموعة معبد إيللورا (راجع المقال السابق) وكدشوارو من خير ما تركه الفن الهندى فى النحت

أما التصوير فكانت غالبية مرسومة على حوائط المعابد ، إلا أنه مع الأسف لم يبق منه شىء كثير من القطع الكبيرة

ويغلب على الظن أن أروع مصورات هندية هى تلك التي على حوائط معبد أدشونتا (القرن الخامس بعد الميلاد) ، وتمثل بوذا والاحتفالات الدينية ، وبعض مناظر الحروب والصيد ، وكانت خالية من قواعد وأصول الرسم المنظور ، ولكن هذا لا يمنع من اعتبار خطوط التحديد جيدة لدرجة أكسبت الأجسام شيئاً كثيراً من الروعة والحياة

أما الألوان فكانت قوية اختارها الهنود جذابة للنظر لما غلب عليها من دقة الاختيار وحسنه . ويتلخص التطور الذى طرأ على فن التصوير الهندى في أن المساحات المشغولة به كانت كبيرة ، ثم أخذت فى الصغر حتى أصبحت تقرب من تلك التي تعلق على الحوائط فى أيامنا هذه ، بل إن الكثير منها رسم فى مساحة الكتب العادية

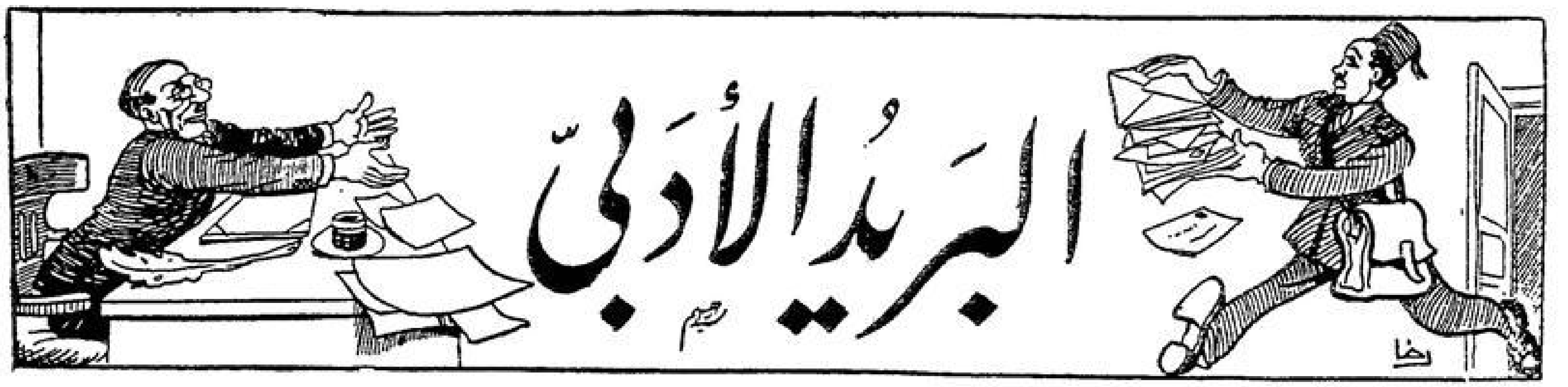
هذا إلى أنها كانت شاملة فى أول أمرها لعدة أشخاص ثم خصصت للتعبير عن الجمال أو مواقف الغرام بين رجل ومعشوقته

ولعلنا بالنظر إلى الصورة المنقولة عن حائط معبد أدشونتا نلاحظ حرص الفنان على صدق المحاكاة بالرغم من بساطة الخطوط ، فالتسعة الرؤوس تكاد تكون متشابهة من حيث الملامح والتكوين . أنظر إلى الشعر وإلى العيون والحواجب والشفاة تر أنها كلها لجنس واحد من الناس

وقد اجتهد الفنان فى تصوير الأيدى مختلفة الأوضاع ؛ فتراه جعلها قابضة مرة على عقد وأخرى مشيرة ، وثالثة منبسطة على كتف

وهذه الصورة وإن كانت بسيطة بالنسبة إلى غيرها ؛ إلا أنها تعطي فكرة صادقة عن روح التصوير الهندى

احمد موسى



جلالة الملك يحضر دروس الدين في رمضان

يحرص جلالة الفاروق أيد الله ملكه على أن يحيى سنن الراشدين من خلفاء الرسول ، والصالحين من ملوك الإسلام ، فشاءت جلالته أن يحضر دروس التفسير والحديث التي يلقيها في المسجد الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر في مساء كل خميس من شهر رمضان . وقد كان يوم الخميس الماضي افتتاح هذه الدروس بمسجد الأبوصيري في الاسكندرية . في الدقيقة الخامسة والعشرين من الساعة التاسعة أقبل موكب المليك الأعظم فاستقبله على باب المسجد العلماء والنبلاء والوجهاء والشيوخ والنواب وجمهور حاشد من طبقات الشعب ، ثم أخذ مجلسه المتواضع في بيت الله بين عباد الله وشرع الأستاذ المراغي يلقى درسه الجامع بعد أن مهد له بهذه الكلمة البليغة قال :

« قبل أن أشرع في المحاضرة أرى لزاماً علىّ وأداء للواجب أن أنى لمولاى حضرة صاحب الجلالة « الملك فاروق » الأول أعزه الله يبعض حقه على الإسلام والمسلمين من الثناء والشكران ، فقد أعاد سنة من سنن الاسلام بتحيته وبندائه الذى أذاعه أول يوم من رمضان هي سنة الأمر بالمعروف والاعتصام بهدى الله وأوامره تصدر من ولى الأمر ، وهو أعزه الله باستماعه لمحاضرات دينية قد أرشد الناس إلى الرجوع إلى الحق وسماع آى الكتاب الكريم والسنة المطهرة

تلك نعم من الله تستوجب الشكر والدعاء بدوامها . ومما زيدنا غبطة أن هذه الرعاية من المليك المعظم للدين جاءت في وقت نبتت فيه عند الشبان من أبناء الجيل فكرة الرجوع إلى الدين والاعتزاز به

ومما لا ريب فيه أن تعهد هذا الشعور سينميه ويقويه ويصل به إلى أبعد الغايات وأحب الثمرات . حقق الله الآمال وأدام « الفاروق » ذخراً للإسلام والمسلمين ولأهل الوطن أجمعين »

وقد انتهى هذا الدرس الديني في الساعة التاسعة والدقيقة العاشرة فما كاد جلالته ينصرف من المسجد ويبدأ الموكب الملكي في العودة إلى قصر المنتزه حتى هبت عاصفة التصفيق والهتاف بحياة الملك الصالح ، وظلت تلاحق الموكب حتى عاد إلى القصر الملكي باليمن والإقبال

الموسوعة الإيطالية (انسيكلوبيديا اتاليانا)

منذ أسابيع قلائل ظهر المجلد الأخير من الموسوعة العلمية الايطالية (الانسيكلوبيديا أو دائرة المعارف) ؛ وهو المجلد السادس والثلاثون . وإصدار هذه الموسوعة الضخمة من أعظم وأجل الأعمال العلمية التي تمت في العهد الفاشستي ؛ وقد وضع مشروعها لأول مرة في سنة ١٩٢٥ ، وكان روح المشروع هو السنيور موسوليني نفسه ؛ وتبرع لمعاونة المشروع عدة من رجال المال الايطاليين في مقدمتهم السناتور جوفاني تريكاني ، وهو من أقطاب الصناعة ومن هواة العلوم والفنون ؛ وانتخب العلامة السناتور جنتيلي لادارة المشروع والاشراف على إخراج الموسوعة ؛ وصدر المجلد الأول منها في ربيع سنة ١٩٢٩ ، ووعد القائمون بأمرها يومئذ بأن المجلد الأخير منها سيصدر في سنة ١٩٣٧ ؛ وكانوا عند وعدهم . ودعا السناتور جنتيلي ، وهو من العلماء والكتاب الأجلاء ، كتاب العالم وعلماءه في كل فن وفرع ليشتركوا في تحرير الموسوعة الجديدة ، وأغدقت عليهم الهبات الوفيرة ، ولم تعترض معاونتهم أية اعتبارات حزبية أو قومية ، إذ حرص القائمون بالأمر على أن يسود المشروع كله جو علمي بعيد عن جميع الاعتبارات . وقد صرح السناتور تريكاني حين تقديمه المجلد الختامي من الموسوعة إلى السنيور موسوليني بأن الموسوعة الايطالية اتخذت نموذجها من الموسوعة البريطانية وصدرت على طرازها باعتبارها مثلا أعلى لهذا النوع من العلم المحشود ؛ وأنهم مع ذلك حاولوا باصدارها التفوق على الموسوعة البريطانية . ومن

محاسن الموسوعة الجديدة أنها لم تكن مشروعاً تجارياً بل كانت مشروعاً علمياً فقط ، وانها حسبما يصفها المشرفون عليها ، قصدت إلى غاية علمية جليلة هي أن تلخص العلم الايطالى المعاصر والثقافة الايطالية المعاصرة ؛ ولكن هنا لك ملاحظة جديرة بالتقدير ، وهي أن كل ماتخرجه ايطاليا الفاشيستية من صنوف التفكير والثقافة يصطبغ بصبغة الدعاية العميقة للفاشستية ونظمها ومزاياها المزعومة ؛ فماذا كان أثر هذه النزعة في إصدار الموسوعة الايطالية ؟ يقول النقدة الذين درسوا الموسوعة إنها جاءت لحسن الطالع مجهوداً علمياً لم تطغ عليه شوائب الدعاية القومية المنظمة ؛ وإذا كانت فى الواقع تعتبر أعظم وأغزر مصدر لكل ما يتعلق بالفاشستية ، فان ذلك طبيعي لا غبار عليه لأنها تصدر عن بلد النظم الفاشستية . وقد تولى السنيور موسوليني نفسه كتابة المقال المتعلق بشرح النظرية الفاشستية ، وكتب السنيور ڤولبي وزير الطيران تاريخ الفاشستية . وإذا كانت الموسوعة الجديدة تنم عن نزعة ثورية فى النظر إلى مناحى العلوم والفنون ، فهى أيضاً نزعة طبيعية فى بلد يعيش في عهد تطور وثورة ؛ بيد أنه يمكن أن يقال بوجه الاجمال ، إن الموسوعة الايطالية مجهود علمى جليل قبل كل شئ ، وإنها مفخرة علمية خالدة لايطاليا الفاشستية ، وإنها قد استطاعت أن تحقق إلى غاية بعيدة كل ما قصده المشرفون عليها من تلخيص الثقافة الايطالية المعاصرة ، وإنها قد استطاعت أن تتحرر من كل نزعة قومية أو حزبية أو جنسية أو دينية خاصة ، وإنها أخيراً فتح علمى عظيم يستحق كل إعجاب وتقدير

صور بغدادية

أصدرت مس ستارك (مذكراتها) عن بغداد فى كتاب بالإنجليزية سمته Baghdad Sketches وقد كتبته فى الفترة التى عاشتها فى هذه المدينة الخالدة مكبة على تعلم اللغة العربية وأختها الفارسية . والكتاب على طرافتـه خليط من الحق والباطل والماضى والحاضر ؛ وفيه — برغم مزاياه — ظلم كثير للعرب ، ونسيان للجميل المعظم الذى ينبغى أن يذكره الإنجليز إلى الأبد لهذا القطر الشقيق ... وقد كانت المؤلفة تعيش فى صميم بغداد ، ومن هنا كانت هذه النظرة السوداء لطرق معيشة البغداديين ، والنعى على قذارة الحى الذى كانت تعيش فيه ... ولو أن الآنسة فرايا ستارك عاشت فى بعض أحياء لنـدن القذرة لما سولت لها نفسها إيراد ما أوردته فى كتابها عن الحى البغدادي الذى لم يرغمها أحد على أن يكون مستقرها فى الفترة التى قضتها فى عروس مدن التاريخ ... هذا وقد تكلمت الآنسة عن العلاقة بين العرب فى العراق وبين الإنجليز فصرحت أنها تقوم على النفاق ، وأن العراقيين فى طول البلاد وعرضها يضمرون للأجانب عامة البغضاء والكراهية ، واستنتجت ذلك من مرورها مرة وهى تزور النجف بصانع أحذية طاعن فى السن ما كاد ينظرها حتى انصرف عن عمله وراح يحدجها بنظرات عدائية ارتجفت لها أعصابها ... وهذا بطبعه استنتاج سقيم كان من المآخذ الكثيرة التى استدركتها على الكتاب صحيفة التيمس الأدبية

دور الضيافة الأدبية

منذ عامين أنشأت نقابة الصحافة الفرنسية فى باريس بمعاونة الحكومة نادياً للضيافة سمته دار الضيافة الفرنسية Acceuil de France وأعدته لنزول الصحفيين الأجانب الذين يزورون باريس زيارة قصيرة ؛ فهنالك يحتفى بهم وتقدم إليهم جميع المعاونات والمعلومات اللازمة لتسهيل مهامهم وأغراضهم العلمية والسياحية . وفى هذا العام استطاع نادى القلم الفرنسى أن يحمل الحكومة الفرنسية على أن تخصص داراً عظيمة فخمة لنزول الكتاب الأجانب الوافدين على باريس ؛ وتقع هذه الدار فى حى الشانزيليزيه أفخم أحياء باريس فى شارع بيير شارون ، ويمكن لجميع كتاب العالم الذين ينتمون إلى نوادى القلم أن ينزلوا فيها ضيوفاً على الحكومة الفرنسية ؛ وقد حددت مدة الضيافة بخمسة أيام فقط نظراً لكثرة الكتاب الوافدين على الدار وفي خلالها يقدم طعام الإفطار إلى الضيوف ، وتوضع تحت تصرفهم جميع المعاونات والتسهيلات الممكنة لزيارة المعالم الأثرية والفنية . ومنذ أوائل الصيف الماضى تقوم هذه الدار الفخمة بمهمتها فى استقبال الكتاب من مختلف الأنحاء

ونحن فى مصر فى حاجة إلى دار للضيافة من هذا الطراز ؛ ولا نقول إنها يجب أن تعد لاستقبال جميع الكتاب الوافدين إلى مصر ، بل يكفى أن تعد لنزول الكتاب والأدباء الذين يفدون علينا من الأقطار العربية والاسلامية ؛ ونحن نستقبل

الكثيرين من هؤلاء الإخوة فى كل عام وكل فصل ، ولا نستطيع فى معظم الأحيان أن نقدم إليهم ما يجب من حسن الضيافة والمعاونة . فعلى هيآتنا الصحفية والأدبية أن تبذل السعى اللازم لدى الحكومة حتى تظفر بتحقيق هذه الأمنية التى يعاون تحقيقها فى توثيق الروابط الأدبية والاجتماعية بين مصر وشقيقاتها

اكتشاف جديد لسر التحنيط

هل اكتشف العلم الحديث أخيراً سر التحنيط عند الفراعنة ؟ هذه مسألة تعنى بها الأوساط العلمية فى أوربا وأمريكا منذ حين عناية خاصة ، وتبذل الجهود من آن لآخر للوقوف على سر ذلك المحلول العجيب الذي كانت تنقع فيه الجثث المحنطة فيكفى لحفظها من العطب والتحلل آماداً طويلة ، بل آلافا مؤلفة من السنين كما تشهد به موميات الفراعنة التى تحتفظ بها مصر وكثير من المتاحف العالمية . ولقد كان التحنيط على هذا النحو فناً من فنون المصريين القدماء برعوا فيه إلى الغاية ؛ ولكن تسربت منه على ما يظهر فى العصر القديم معلومات إلى بعض الأمم المعاصرة كالأشوريين والفرس ؛ بيد أنه لم يبلغ فى حضارة من الحضارات القديمة مثل ما بلغه عند المصريين القدماء

وقد بذل العلم الحديث محاولاته لاكتشاف هذا السر مهتدياً بما كتبه المؤرخ اليوناني الكبير هيرودوت عن التحنيط عند الفراعنة حسبما شاهده ودرسه بنفسه لدى المحنطين المصريين وهم الرهبان فى ذلك العصر؛ ولكن رواية هيرودوت لم تلق قط على حقيقة المواد التى كانت تستعمل ضوءاً كافياً ، وكل ما هنالك أنه يتحدث عن محلول «النترول» . وفى أواخر القرن الماضى استطاع بعض العلماء الألمان أخيراً أن يهتدى إلى مركب تحفظ به الجثث المحنطة ولكن إلى أعوام قلائل

والآن تحمل إلينا الأخبار من إيطاليا أن المباحث التى كانت تجرى منذ حين فى جامعة تورينو قد انتهت بالوقوف على سر المحلول الفرعونى للتحنيط ، وأن الكيميائي الإيطالى السنيور سالفاتوري بيروتا قد استطاع أن يهتدى إلى محلول تحفظ به جثث الحيوانات المحنطة أعواماً طويلة دون أن يصيبها البلى ، بل تبقى كأنها حية تماماً . ويقول أساتذة المعهد الكيميائى بجامعة تورينو إن بيروتا قد استطاع حقاً أن يقف على سر التحنيط بهذا الاكتشاف؛ على أنه يبقى أن تثبت التجارب العلمية ما إذا كان هذا المحلول الذى اكتشفه العالم الإيطالى يكفى لحفظ الجثث آماداً طويلة ، وهذه هى عقدة المسألة كلها . وقد كان بيروتا طالباً فى معهد تورينو وتخرج فيه ، ولكنه اضطر لفقره أن يلتحق بوظيفة صغيرة ؛ إلا أنه شغف بالتجارب الكيميائية وأنشأ له معملاً صغيراً فى منزله وأجرى فيه تجاربه ؛ ولما وقفت الجامعة على جهوده سارعت لمعاونته ووضعت معملها الكبير تحت تصرفه حتى اهتدى بتجاربه العديدة إلى اكتشافه المذكور

انعقاد المؤتمر الطبى السنوى فى بغداد

قررت الجمعية الطبية المصرية عقد مؤتمرها السنوى العاشر بمدينة بغداد في المدة بين ٩ و ١٣ فبراير القادم

وسيتناول المؤتمر بحث الموضوعات الآتية :

جراحة الكبد والحويصلة الصفراوية — الملاريا — الكوليرا — موضوعات متنوعة جراحية وباطنية (من بينها الحمى المتموجة وحبة بغداد) — توحيد المصطلحات الطبية فى اللغة العربية

وترجو الجمعية من حضرات الأطباء الراغبين فى إلقاء بحوث عن هذه الموضوعات إحاطتها علماً بالموضوع الذى يختاره كل منهم مع ملخص بسيط عنه

أما قيمة الاشتراك فى المؤتمر ، فهى جنيه مصرى يرسل باسم سكرتير الجمعية العام (بريد قصر العينى) . وستعلن الجمعية قريباً عن البرنامج التفصيلى الشامل لحضور المؤتمر

أسبوع الكتاب الألمانى

جرت عادة الجالية الألمانية فى مصر أن تقيم فى كل سنة معرضاً تطلق عليه « أسبوع الكتاب الألمانى » . وقد أقامته هذه السنة فى القاعة الكبرى بالبيت الألمانى فى شارع الترعة البولاقية رقم ٧ تحت رعاية وزير ألمانيا المفوض

ومن أهم ما عرض فى هذه السنة ما كتبه الألمان عن مصر فى مختلف الأزمان ، إذ قدم المعهد الأثرى الألمانى للمعرض نخبة من المؤلفات القيمة فى هذا الباب

وظل المعرض مفتوحاً يومى السبت والأحد وأقيمت فى منتصف الساعة الثانية عشرة من صباح الأحد أمس حفلة موسيقية اختتم بها أسبوع الكتاب الألمانى



من أساطير الإغريق

٣ ـ خرافة جاسون

للأستاذ دريني خشبة

— « وله ؟ ألست بن ملك مثلها ؟ ألست صاحب عرش عظيم ؟ أليس لى ملك تساليا بعد أن أعود من رحلتى هذه ؟

— بلى يا بنى ! ولكنها تخشى أباها أشد الخشية . أليس يرى فيك عدوه الأكبر لما تريد من استلابه الفروة الذهبية التى هى أكبر كنوزه ؟

— دعى هذا الآن يا أماه ، ولكن طمئنينى كان الله لك ، هل تحبنى ميديا حقاً ؟

— ومن أنبأك هذا ؟

— نبأتنيه ربة من السماء لا تضن ولا تنسى !

— ربة ؟ تقدس اسمها ؟ ! من عساها تكون يا ترى ؟

— هى جونو يا أعز الأمهات ! لا أكذبك ، إنها جونو !

— أتعرف ما تقول ؟

— وهل يكذب بشر على آلهته ؟

— إن كان ما تقول حقاً . فلا أذيع سراً أذاعته سيدة الأولب ، ومليكة جوف الكبير المتعال ؟ إن ميديا يا بنى مولعة بك ولوعاً شرد النوم من عينيها ، وجعلها فى أيام معدودات طيفاً لا يردد لسانه غير اسمك ، ولا تذرف عيناه إلا من أجلك .. و ..

— ميديا تبكى ؟ ومن أجلى ؟ ولم تبكى ؟

— تبكى لأنك كلفت بأمور لا تحملها الجبال ! وأين أنت من عِجلَىْ فلكان والأرض الجُبُوب التى لمارس ؟ ومن أنت والجيش العرمرم من المردة من نبات أنياب التنين ؟ ثم من أنت وما هذا كله فى التنين الهائل الذى يحرس الفروة ؟ حقاً لقد جازفت بنفسك حين وافقت الملك على خوض تلك المخاطرة ..

— وما الرأى إذن ولا بد مما ليس منه بد ؟

— الرأى أن تلقى ميديا فهى حبيبتك ، وإن عندها ، فضلا عن ذلك ، أمَّ كتاب السحر ، ولن تبخل عليك بعلمها مهما كلفها ذلك من حَنَق أبيها ، وإغضاب أربابها

* * *

لقد كان الليل يضرب على العالم بجرانه ، وكانت النجوم تلتهب فى فحمته كقلوب المحبين ، والفرقدان يتقدان من هول الزيارة المضروبة بين العاشقة المُدَلَّهة ، والفتى المقاحم ذي الآمال

وأقبل جاسون فوجد العجوز تنتظره عند الباب الخلفى ...

وهمست إليه فسار فى إثرها حتى كانا عند منعرج مُسَوَّج بنبات ذى عساليج ، يؤدى إلى رحبة واسعة ينتشر في أرجائها أرج الورود والرياحين ، حتى ليوقظ القلوب النائمة ، ويعطرها بفغمة[1] الحب ، ويسكرها برحيقه المختوم الذى كله لغو وتأثيم !

وهناك ، كانت تنتظره ميديا بنفس غَرثى[2] ، وقلب ظامئ خَفِق ، فلما رأته غمرها إحساس ثائر ، واستولت عليها عاطفة صارخة ، لم تستطع معها إلا أن تلقى بنفسها على صدره القوي الرحب ، تبلله بدموعها ...

ووقف جاسون ساكناً هادئاً ، كأنما كان يوجس خيفة من هذا الحب الذى أقبل تجاه سماحه ويَدّاراً عليه ، ويدفع بعضه

(١) الفغمة : الرائحة الجميلة

(٢) غرثى : جائعة والمراد مشوقة

بعضاً من حوله ... لقد كان قلبه بارداً كالثلج ، وذراعاه جامدتين كالرخام ... وكانت ميديا تبكي وتنثر اللؤلؤ من عينيها المرتجفتين ، ولكنه لم يستطع أن يرد تحية واحدة من تحايا هذه الدموع ... وكأنما كان يحس ، حينما كانت الفتاة تلف ذراعيها حوله ، أن حية رقطاء تتحوّي عليه ، وتنفث سمها فيه ... لماذا ؟ لم تكن إلا الآلهة وحدها تدري !!

— جاسون ... أحبك ... أحبك من أعمق أغوار قلبي ! لم أكن أعرفك قبل أن رأيتك من الشرفة تكلم أبي ، فلما رأيتك فنيت فيك ...

— أشكرك يا عزيزتي ... أشكرك شكراً لا أدري كيف أعبر عنه !

— جاسون ! ألا تكون لي إلى الأبد ؟

— أنا خادمك ... بل عبدك إذا شئت !

— لم رضيت لنفسك ما عرضه عليك أبي يا جاسون ؟

— وماذا يخيفني يا ميديا ؟ نحن الاغريق لا نرهب الردى ، ولا نخاف الموت !

— هذا جميل ... ولكن الموت أكره الأشياء وأقبحها لمثل هذا الشباب !

— قد أنتصر ، والنصر ، لا سيما في المخاطرات ، أجمل تاج يتألق على جبين الشباب !

— هذا محال إذا لم أساعدك !

— تساعدينني ؟

— أجل !

— وكيف ؟

— عِدْني أولاً !

— وبماذا أعدك يا أعز الناس !

— أن تكون لي ... أن نتزوج !

— أعدك !

— بل أعطني موثقك !

— أقسم لك !

— بل احلف بجونو ؛ فهي حارستك ! وأحلف بهيا كاتيه !

— أ ... أ ... أحلف ! أحلف بجونو ! وبهيا كاتيه !

— تحلف بجونو ماذا ؟

— أحلف بجونو أن نتزوج !

— وأن يعيش كل منا للآخر إلى الأبد !

— إ ... إ ... إلى الأبد ؟!

— إذن ... لاضير عليك ... ستنجو من كل شيء ياجاسون ... خُذْ !

— ماذا ياميديا ؟

— أسلحتك التي تقيك !

— أسلحتي !؟ هاتان عُلْبَتَان ... وهذا حجر أسود صغير ! أكل هذه أسلحتي ؟ ماذا أصنع بها ؟

— علبة من فضة إذا فتحتها اصّاعدت منها ريح تفل من حدة عِجْلَيْ فلكان ، وتقي وجهك حر النار التي ينفثانها من منخريهما ، فتستطيع أن تلجمها ، وتضع على عنقيهما النّير حتى يكون المِقْوَم (١) بيدك ... أما الحجر الأسود الصغير فتقذفه وسط المحاربين الذين تنبتهم أرض مارس الجَبُوب ، وإنه لحجر مُسَوَّم من سجيل ، يجعلهم كعصف مأكول ! وأما العلبة الصغيرة الذهبية فتنثر مما بها من طيب في وجه التنين فيسكر وتتخدر أعصابه وينام لساعته ، ولك عندها أن تقضي عليه ...

وسكتت ميديا ...

ومدت فمها إلى جاسون ، فطبع عليه قبلة فاترة خائفة ترتجف وترتعد ، مما سمعت من سحر الحجر الأسود ، وريح العلبة الفضية ، وطيب العلبة الذهبية !!

***

وكان الجو العبوس القمطرير يزيد في منظر الحفل الحاشد

(١) المقوم الخشبة بين الثورين يمسك بها الحراث — أما النير فالقصبة التي تشد المحراث على عنقيهما (الثعالبي)

روعةً ورهبة ؛ وكان الملك الجبار يملأ بجسمه الضخم عرشه الممرد فوق الأكمة المشرفة على الأرض الجبوب المقدسة باسم مارس ، وكان الناس الذين أقبلوا من كل فج مُشَاةً وعلى كل ضامر يجلسون على الشعاف وأحْيَاد الجبال المطلة على الميدان متزاحمين متدافعين كأنهم في يوم حشر ... وكان إخوان جاسون يجلسون عصبة بينهم وفي قلوبهم حسرات على صاحبهم ، وألسنتهم ماتفتر عن الدعاء له ، والتوسل إلى الآلهة من أجله ... وكانت ميديا العتيدة تجلس في ركن من مقصورة الملك تتعوذ وتُعَوِّذ وتطلق الرُّقى ...

ثم دق الناقوس الكبير فصمت الناس وشملهم سكون عجيب .. وانفتح باب الزّرب فبرز عجلا فلكان ثم جعلا يعضفان ويتلبطان[1] وينفثان من منخريهما شرراً ودخاناً يختلط بهما لهب أزرق ما مسَّ شيئاً في الميدان إلا حرقه ... حتى العشب الرطب المندّى بَلْه الهشيم اليابس ... ، ... وبرز جاسون من مكمنه ، فانحبست أنفاس الناس ، وسكنت الريح ، وأشرفت الآلهة من نوافذ السماء تنظر إلى هذا اللقاء العظيم ... وأهطع[2] أصحاب البطل وطارت ألوان وجوههم ، وتحسس كل منهم فؤاده ... ولكن جاسون الهائل خطر شطر العجلين غير هياب ؛ وعليه دروعه ، وفي يده سيفه ؛ فلما كان قاب قوس منهما جعل يتلطف بهما ، ثم فتح العلبة الفضية فصعدت منها ريح هدأت ثورتهما وأسلست قيادهما فأسرع إلى النير فوضعه على عنقيهما وشد وثاقه ، ثم ربط إليه المحراث وبدأ عمله الشاق ... وكانت الريح السحرية قد بطل عملها أو كاد فعاد العجلان إلى سابق دأبهما من التوحش والقماص والشبوب[3] وغاد منخراهما يقذفان دخاناً أبيض وشواظاً ... بيد أن جاسون سيطر عليهما حتى أتم حرث الأرض كلها ، ثم قادهما إلى زَرْبها وأطلقهما ، وغلق عليهما ، وقصد ناحية الملك يسأله أنياب التنين لنزرعها ... فدفعها الحراس إليه وطفق يغرسها في الأرض الرحبة حتى إذا فرغ من عمله ، نظر فإذا رؤوس مقنعة في خوذات من حديد تنبت من الأرض ، ثم تنمو فتبرز الرقاب ، ثم تظهر الصدور وعليها الدروع السابغات ، ثم تشقق الأرض وتكون الجذوع كلها من فوقها ، وتخلص الأذرع وفي أكفها السيوف المرهفة تلاعب الهواء .. ثم ترتفع الأفخاذ وعليها كل لأمة دلاص[1] ، ثم يقف أمام جاسون جيش عرمرم من هذه الشياطين المسلحة ترغي وتزبد وتزأر ، ثم ينقض عليه الجيش بأكمله وقد شرع كل جندي حسامه ، فيتلقاهم البطل بأحسن ما علمه شيرون أستاذه العظيم من قوة في كر ، وحزم في فر ، وحذق في تحرُّفٍ لقتال ، ورسم لخطط للنضال ... وكان الملك ينظر إلى كل ذلك ويتعجب ، وكان الشعب يفغر أفواهه من دهش وذهول ... وكانت ميديا — برغم ما سلحت به جاسون من سحر — تمسك قلبها الخفاق بيدين مرتجفتين ... أما رفاق جاسون ، فوارحمتاه لهم !! لقد كانوا يرون الأبالسة يحدقون به من كل صوب ، ويزلزلون الأرض تحت قدميه ، فتزيغ أبصارهم وتتقلب قلوبهم ، وتتثلج مشاعرهم ، وينظر بعضهم إلى بعض ، لا يملكون لهذه الحال ردًّا ولا دفعاً

وظل جاسون يناضل ويناضل ، وكلما قتل عشرة وقفت مائة مكانها ، وكلما جندل مائة بُدلت بألف ؛ فانقذف شيء من الرعب في قلبه ، وسرى إلى نفسه دبيب من اليأس كاد يقتله ، لولا أن أقبلت جونو تكلمه في نسمة روحت عن قلبه ، وتذكره بالحجر الصغير الأسود ... ولكن الحجر الصغير الأسود كان في جيب صداره ، فأنى له به ولو غفل لحظة عن الدفاع عن نفسه لباء بقتلة شنيعة يقطر سمها من ألف ألف سيف !؟

وجعل المسكين يحاول مرة بعد مرة أن يخرج الحجر الصغير الأسود ... ولكن محاولاته كلها ذهبت سدى ... وكان قد بلغ منه الجهد ، وتولاه الإعياء والضنى ... فلهج لسانه فجأة باسم جونو ... فأسرعت سيدة الأولمب لنجدته ، وأخرجت الحجر الأسود من جيبه ، ووضعته في يده ، فقذفه جاسون وسط جيش

(١) الاعصاف السير السريع الذي يثير الأرض ، ويتلبطان يختلطان في سيرهما

(٢) مدوا رؤوسهم

(٣) أن ترفع الدابة يديها غاضبة

(١) الدرع الواسعة السابغة

الأعداء المحدقين ، فما هي إلا طرفة عين حتى تفرقوا من حوله ، ثم تصرّعوا غير مأجورين ... وماتوا جميعاً

وأهرع أصحاب جاسون إليه ، وطفقوا يحيونه ويهنئونه ، ويذرفون حوله دموع الفرح لما كشف عنه من غُمة هذا البلاء ثم حملوه وهم يهتفون باسمه أحر الهتاف ، وأهرعت الجموع الزاخرة فى آثارهم نحو البحر ، وهى تفتأ تردد صيحات الاغريق ، حتى خاف الملك على عرشه أن يثله شعبه ، وأن يجلس عليه جاسون .. لذلك اربد وجهه ، وانتشرت عليه سحابة من الكآبة والهم تملأ أساريره

وبلغ الاغريق سفينتهم فشكروا للكولخيين جميل ما حيوا به بطلهم ... ثم خَلَوْا بعد ذلك إلى جاسون فنضوا عنه ثيابه ، وضمخوه بالطيوب والعطور ، ثم هيأوا له طعاماً وشراباً ، من أنخر ما يقتنون .. وفى الليل أسر إليهم بسره ، وانطلق ليلقى ميديا

***

ولقيته ابنة الملك بابتسامة لم يجزها عليها بمثلها ... ثم تركها وقتاً غير قليل تغمره بقُبَلها وتنضح يديه وخديه وجبينه بدموعها وتعبر له عما كان يقيمها ويقعدها حينما انبرى لعِجليْ فلكان ، وحين أحدق به أبالسة التنين يقاتلونه ويتكاثرون عليه ، وهو صابر لهم ، صامد لجموعهم ، حتى قذف الحجر فانقذفت فى قلوبهم المنايا

— أرأيت إذن ياحبيبي ما صنع الحجر الأسود من السحر أيقدر على مثل ذلك غير من أوتى من العلم ما أوتيته ؟

— كلا !

— مالك لا تتكلم يا جاسون ؟

— الفروة الذهبية ! أريد أن أفرغ من هذا الهم الطويل ؟!

— الفروة الذهبية لك من غير ما ريب ، فلا تبتئس ! قبّلنى !

وطبع على ثغرها قبلة مَيّتَةً كانت ترتجف من شياطين السحر التى ترقص دائماً فى فم ميديا ... وانطلقا إلى الجانب القصى من الغابة المجاورة ، حيث كان التنين الهائل يحرس الفروة المعلقة على شجرة السنديان ، وهناك ، فتح جاسون العلبة الذهبية ثم اقترب من التنين في غفلة منه ، وقذف فى وجهه بما كان فيها من قطرات السحر ... فترنح الوحش المخيف الرائع ؛ واستل جاسون حُرَازه ، وأغمده فى صدر الأفعوان الكريه ، فخر يتلبط في دم غزير ... وانقض الفتى على الفروة الثمينة التى ترجح ألف كنز فانتزعها من الشجرة ... وعادا عجلين إلى القصر الملكي الرهيب ، حيث كانت وصيفاتها فى انتظارها ، وقد جمعن كل ما استطعن حمله من أذخار القصر ، كما رسمت لهن ميديا من قبل وحين أوشك الجميع أن يغذوا السير إلى الآرجو ... إذا بالفتى أبْسِرْتوس ، أخو ميديا غير الشقيق ، وولى عهد الملك ، يقبل لبعض شأنه ، فتغريه أخته بالسفر معها فى رحلة جميلة إلى أبدع بلدان العالم ... تساليا ... ويرضى ولي العهد ... وينطلق الجميع إلى المرفأ حيث رست الآرجو ، فيركبون فيها ، وتقلع بهم فى موج كالجبال

فى العدد المقبل (خاتمة ميديا)

دريني خشبة

طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المهدى رقم ٧